20 me année No 1009

Le Caire 3 — 11 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ صفر سنة ١٣٧٢ — ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

عدونا الاول : الرجل الابيض

للأستاذ سيد قطب

فى أمريكا يتحدثون عن « الرجل الأبيض » كما لو كانوا يتحدثون عن نصف إله . ويتحدثون عن « الملونين » من أمثالنا المصريين والعرب عامة كما لو كانوا يتحدثون عن نصف إنسان !

فالذين يعتقدون أن الأمريكان يمكن أن يكونوا معنا ضد الاستعمار الأوربى هم قوم إما مغفلون أو مخادعون ، يشتغلون طابورا خامسا للاستعمار الأمريكى المنتظر لبلاد الشرق الأوسط !

إن مصالح الاستعمار الأمريكى قد تختلف أحيانا مع مصالح الاستعمار الأوربى . ولكن هذا ليس معناه أن يكونوا فى صف استقلالنا وحريتنا . إنما معناه أن يحاولوا زحزحة أقدام الأوربيين ليضعوا هم أقدامهم فوق رقابنا . وفى الغالب هم يجدون حلا لخلافاتهم مع الاستعمار الأوربى على حسابنا

إن الرجل الأبيض هو عدونا الأول . سواء كان فى أوربا أو كان فى أمريكا .. وهذا ما يجب أن نحسب حسابه . ونجعله حجر الزاوية فى سياستنا الخارجية ، وفى تربيتنا القومية كذلك

إن أبناءنا فى المدارس يجب أن تربى مشاعرهم وتفتح أذهانهم على مظالم الرجل الأبيض وحقارة الرجل الأبيض . وجشع الرجل الأبيض . ويجب أن تكون أهداف التربية عندنا هى التخلص من نفوذ الرجل الأبيض . لا سياسيا فحسب ، ولا اقتصاديا فحسب ، ولكن اجتماعيا وشعوريا وفكريا كذلك

ولكن الذى نفعله هو عكس هذا على خط مستقيم .. عندنا فى وزارة المعارف عبيد للرجل الأبيض . عبيد يعبدون هذا الرجل كعبادة الله . بل إنهم ليلحدون فى الله ولا يلحدون فى أوربا أو أمريكا . سرا أو علانية !

وعندنا فى معاهد التربية التى تخرج المدرسين ، فتؤثر بذلك فى عقلية أجيال بعد أجيال .. عندنا فتات آدمى ينظر إلى الرجل الأبيض نظرة التقديس ، ويطبع مشاعر الطلبة الذين سيصبحون مدرسين بطابع الإعجاب والتدامة لأولئك المستعمرين القذرين ، الذين يحتقروننا ويهينون كرامتنا ، فنتلقى ذلك منهم بالشكر والثناء

وهذه جناية قومية ، وجناية إنسانية .. جناية قومية لأن الرجل الأبيض يستغلنا ويستغل أوطاننا استغلالا شنيعا ، ومن واجبنا أن نعبئ أعصابنا ومشاعرنا ضده ، لنسترد حقوقنا المسلوبة . وجناية إنسانية لأننا بتمجيدنا للأوربى والأمريكى إنما نمجد مثالا مشوها للانسان ، ونقيم تمثالا للجشع والطمع

والسلب والنهب والاحتيال . ثم نضع تحت أقدامه أكاليل المدح والثناء !

أمامي وأنا أكتب هذه الكلمة جريدة مصرية صباحية يتحدث كاتبها فيها عن مأساة تونس مع فرنسا فيقول مخاطبا لرئيس الدولة الفرنسية :

« أما إذا كان يقصد شق الطرق وإنشاء السكك الحديدية ، وتشييد الأبنية وزيادة الرخاء الاقتصادى .. فلعله يعرف أن هذا كله تم لفائدة المستعمرين من الفرنسيين . أما أهل البلاد الأصليون فيعيشون كالغرباء . لا يزالون جهالا حفاة عراة . وقد ساومت أمريكا على أرض مراكش ، فأعطت أمريكا امتياز إقامة المطارات والاستحكامات الحربية على الشاطئ فى مقابل أن تنصرها أمريكا ، وتمهد لها السبيل لتنفيذ سياستها »

ولكن الكاتب يقول مع هذا عن فرنسا إنها « البلاد التى علمت الدنيا مبادئ الحرية والإخاء والمساواة » !

وهذا هو الاستعمار الروحى ، الذى يقيد مشاعرنا حتى ونحن ثائرون على الاستعمار السياسى !

هذا هو الاستعمار الروحى الذى ينطق الكاتب بهذه الخرافة حتى وهو يستعرض تاريخ فرنسا الأسود ، ومساومات أمريكا الاستغلالية

هذا هو الاستعمار الذى بثته فى أرواحنا المدرسة المصرية التى تنفذ أهداف الاستعمار إلى اللحظة الحاضرة . بل يقوم على رأسها وزير كان من عباد إنجلترا ، ثم أضحى من عباد أمريكا ومعه معاهد تربية تتعبد أمريكا من دون الله فى الأرض !

هذا هو الاستعمار الذى بثه فى أرواحنا كتاب خانوا أماناتهم للوطن ، وخانوا أماناتهم للانسانية ، فوقفوا أقلامهم طويلا على تمجيد فرنسا . ومع ذلك فإن بعضنا لا يزال يهتف لهم ، ويعدهم روادا للفكر فى الشرق !

إننى أفهم أن تهتف لهم فرنسا ، أو أن تهتف لهم إنجلترا ، أو أن تهتف لهم أمريكا .. أما أن نهتف لهم نحن العرب فهذا هو الهوان البشع ، الذى لا يقدم عليه فرد وله كرامة !

إن مكان هؤلاء اليوم كان ينبغى أن يكون مكان الجواسيس والخونة والطابور الخامس ، لا مكان التمجيد والتقدير والاحترام

كل رجل غمس قلمه لتمجيد فرنسا أو تمجيد إنجلترا أو تمجيد أمريكا .. هو رجل منخوب الروح ، مستعمر القلب ، لا يؤمن على النهضة القومية ، ولا يجوز أن يكون له مكان فى حياة هذه البلاد بعد نهضتها

إننى لا أكاد أتصور أن هناك إنسانا له مشاعر الإنسان ، يرى « الرجل الأبيض » يدوس بأقدامه على أعناقنا فى كل مكان ثم يجد نفسه قادرا على تمجيد هذا الرجل ، أو حتى مصادقته . إننى أشك فى آدمية هؤلاء الكتاب ، وهؤلاء الوزراء ، وهؤلاء الأساتذة . نعم أشك فى آدميتهم لأن أول مميزات الإنسان أن يحس بكرامة الإنسان

أفهم أن تكون هنالك ظروف اضطرارية تلجئنا إلى تبادل التمثيل السياسى والقنصلى ، وإلى المبادلات التجارية والصلات الاقتصادية مع هؤلاء المستعمرين القذرين . . أما أن نتبادل العواطف والمشاعر ، وأما أن نتحدث عن المآثر والمفاخر ، وأما أن نفتح قلوبنا وصدورنا . . فدون هذا ويعجز خيالى عن تصور المهانة ، وتصور الذلة ، وتصور المسخ الشعورى الذى يصيب الفطرة البشرية ، فيهوى بها إلى ذلك الدرك السحيق من الهوان

من الذى يسمع عن وحشية الفرنسيين فى الشمال الإفريقى ثم لا يمزق كل ماهو فرنسى ، إن لم يكن بيديه وقدميه ، فعلى الأقل بمشاعره وقلمه ولسانه ؟

من الذى لا يحتقر أمريكا ويحتقر معها آدمية الأمريكان وهو يجد المعدات الأمريكية والدولارات الأمريكية تشد أزر الاستعمار الأوربى فى كل مكان . . لقاء مساومات اقتصادية أو استراتيجية أو عسكرية ؟

من الذى يملك أن يقف على الحياد فى معركة الحرية بين الاستعمار الغربى وبين البشرية كلها فى مشارق الأرض ومغاربها .

ثم لا يكتفى بموقف الحياد بل يمد يده بالمصافحة والمحالفة لهذا الاستعمار القذر، الذى تلعنه الأرض والسماء ؟

إن الاستعمار لا يغلبنا اليوم بالحديد والنار . ولكنه يغلبنا قبل كل شيء بالرجال الذين استعمرت أرواحهم وأفكارهم، يغلبنا بهذا السوس الذى تركه الاستعمار فى وزارة المعارف، وفى الصحف، والكتب؛ يغلبنا بهذه الأقلام التى تغمس فى مداد الذل والهوان الروحى لتكتب عن أمجاد فرنسا، وأمجادبريطانيا، وأمجاد أمريكا

ولن نستطيع التغلب على هذا الاستعمار، إلا إذا حطمناه فى مشاعرنا، وحطمنا معه الأجهزة التى تسحق إيماننا بأنفسنا. هذه الأجهزة الممثلة فى وزارة المعارف ومعاهد التربية، والأقلام الخائنة الممسوخة التى سبحت يوما وما تزال تسبح بحمد فرنسا أو إنجلترا أو أمريكا

وأنا لا أطمع فى الجيل الذى شاخ أن يصنع شيئا. هذا جيل قد انتهى. جيل منخوب مهما بدا كالطود الشامخ. جيل مزيف لأنه لا يؤمن بنفسه، ولا يأنف من تقبيل الأرجل التى تركل قومه ووطنه وإنسانيته أيضا. جيل لا بأس أن تكرمه فرنسا، وأن تكرمه إنجلترا، وأن تكرمه أمريكا؛ لأنه يعمل لحسابها ويؤدى لها خدمات، لا يؤديها جيش مسلح كامل

كلا! لست أطمع فى هذا الجيل الذى شاخ. إنما أنا أطمع فى جيل الشباب المتحرر. الذى يحترم رجولته، ويحترم قوميته، ويحترم إنسانيته..

أطمع فى جيل الشباب أن يخرس كل صوت يرتفع فى مدرسة أو معهد أو كلية بتمجيد الرجل الأبيض، الذى خان أمانة الإنسانية

أطمع فى جيل الشباب أن يحطم كل قلم ينغمس فى مداد الذل والعار، ليمجدوا الرجل الأبيض الذى يدوس أعناقنا بحذائه

أطمع فى جيل الشباب أن يحتقر كل رجل يصادق الرجل الأبيض، طائعا مختارا، بدون ضرورة ملجئة تحتمها الأوضاع الدبلوماسية!

ويوم تنفض الاستعمار على هذا النحو من أرواحنا وعقولنا..

يوم تغلى دماؤنا بالحقد المقدس على كل ما هو أوربى أو أمريكى..

يوم نسحق تحت أقدامنا كل من يربطنا بعجلة الاستعمار..

عندئذ فقط سننال استقلالنا كاملا؛ لأننا نلنا الاستقلال من داخلنا: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم». «سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا»...

سيد قطب

---

١ — على هامش الدفاع
عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

يخيل إلى أن أكثرنا يميل إلى بحث المسائل الدولية بعقلية قانونية . وأصالة الرأى فى معالجة السياسة الدولية تقتضى عدم التقيد بالنظرة القانونية فى تحليل حاضر أو مستقبل مشكلة من المشاكل الدولية . فالقانون الدولى نظام فكرى مرن مطاط يتحمل ألف تفسير وتفسير وألف مخرج ومخرج . والقانون الدولى فلسفة سياسية جوهرها الغموض وعمادها الدبلوماسية المرنة، وأبرز دعائمها اجتهاد لبق ذخيرته عناصر متشبعة من التحليل الدقيق للعوامل السياسية والاقتصادية والفكرية الطارئة، والتيارات الهادئة أو العاصفة التى تعترى حاضر قضية من قضايا الساعة ، والأهواء والنزعات وخفايا الأمور التى تكتنف هذه التيارات وتوجهها إلى هدف معين . وكل هذه الحقائق على قسط كبير من التعقيد والتشابك يقصر جوهر القانون الدولى ودساتيره المدونة عن تنفيذه وشرحه وتطبيق حرفية ذلك القانون عليه .

ولذلك فإن من غير الصواب أن نعالج المسائل الدولية على ضوء القانون الدولى وحده ، بل علينا أن نذهب أبعد من ذلك ونؤكد مع كثير من المراقبين للسياسة الدولية بأن الحصافة تقتضى أن وضع القانون الدولى فى زاوية بعيدة من مائدة البحث ، حتى إذا انتهينا من تحليل مسألة من المسائل الدولية على ضوء السياسة العملية والتيارات المعقدة المتشابكة (الاقتصادية والعسكرية والعاطفية والتاريخية) التى تكتنفها ، جلبنا القانون الدولى (أو بالأحرى هذا التراث من النماذج والسوابق والشروح والتعليقات التى تؤلف مايسمى القانون الدولى) وطلينا الصبغة النهائية لاجتهادنا فى السياسة العملية بطلاء قانونى قشرته حساسة مطاطة تفسح المجال للكر والفكر وللتعديل والتنقيح

ومثل هذه الحصافة توفر لصناع السياسة وللمعقبين على السلوك السياسى مرونة يستطيعون معها أن يقبلوا على معالجة حدث من حوادث الساعة فى عقل حذر واجتهاد فطن لا يضيره أن يرفض أو أن يساوم على منفعة عاجلة فى سبيل نصر مرتقب ، أوأن يقبل مايبدو أنه قبول نهائى ، بينما هو يضمر هدفا همه المصلحة الجوهرية الآجلة للمسؤولية التى يتولاها صناع السياسة بالنيابة عن الأمة التى انتدبوا لتسيير شؤنها وخدمة مصالحها العامة

وقد يقرأ بعضنا فى ثنايا هذه السطور دعوة إلى الخداع وضرب من الغش ولكن الخديعة والغش أن تكتم عن الناس الحقائق . والحقائق فى السلوك السياسى تؤكد أن جوهر هذا السلوك صراع حاد قد يكون طابعه الصدق مرة والمراوغة مرة أخرى، واللباقة آنا والتهديد والوعيد آونة أخرى ، ومثل هذا الصراع يفترض الخديعة والغش فإذا اعتصم فريق بالصدق وحسن النية والمثالية المجردة وهو عالم بأن الفريق الآخر يتسلح بغير الصدق والمثالية والنية الصادقة فالفريق الأول يخدع نفسه ويفرط بالأمانة القومية التى وكلته الأمة بالدفاع عنها وبصيانتها عن عبث العابثين

والدبلوماسية (وهى تعريف لهذا الاجتهاد الذى يحاول به صناع السياسة أن يصونوا الأمانة القومية التى وكلهم الشعب بها) جزء لا يتجزأ من سياسة السلم والحرب . والحد بين السلم والحرب خط نظرى لا وجود له إلا فى مخيلة الناس . وقد قال حكماء العرب الأقدمون « الحرب خدعة » فإذا فسرنا هذه الحكمة تفسيرا صحيحا فإن لنا أن نعتبر أن « السياسة خدعة » كذلك ، والعبرة فى الحكم والأمثال أن تتجاوز التمة العقلية وأن تطبق على جوهر السلوك الإنسانى

* * *

وبعد فإن موضوع البحث هو مسألة (الدفاع عن الشرق الأوسط) وهى مسألة لها وضعية فريدة فوق أنها قضية خطيرة — فريدة لأنها مكتنفة بتيارات وعوامل على غاية من التعقد والتشابك، وخطيرة لأنها تمس صميم الأمانة القومية التى يهتم بها كل مواطن عربى ويحمل لواء الدفاع عنها قادة الرأى وأولو الأمر من صناع السياسة فى بلدان العرب. وعلى ذلك فإن الحديث عن مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط هو الحديث أبرز مايعترض حاضر السياسة العربية من أحداث طارئة لا تقتصر على الأوضاع الداخلية للدول

العربية فحسب؛ بل تتصل اتصالا مباشرا بمستقبل الكيان العربي بأسره كمجموعة إقليمية وكدول منفردة، كما تمس مستقبل هذا الشطب اليهودي الذي يكمن في عقر دارنا ومستقبل العلاقات التي تربط دول الجامعة العربية بالعالم الخارجي — في الشرق والغرب

* * *

والحديث عن الدفاع عن الشرق الأوسط يختلف باختلاف الجهة التي يصدر عنها الحديث، فالعرب تنظر إليه نظرة خاصة، وتركيا تنظر إليه نظرة أخرى، وللبريطانيين فيه اجتهاد منفرد، وللأمريكان رأى خاص، وللفرنسيين كذلك تفسير معين، وموقف إسرائيل منه يختلف عن هؤلاء جميعا

ولكن المحافل العامة إجمالا حين تتناول مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط تفكر في أمور معينة تشترك فيها جميع الأوساط المعنية بالأمر

هذه الأمور هي : —

(١) — المركز الاستراتيجي للشرق العربي في خطط الدفاع عن الميدان الأوروبي — كلا المعسكرين الروسي والغربي، وهذه الاستراتيجية تشمل قناة السويس والمطارات الجوية الصالحة لخطط حلفاء الغرب وما قد يفكر فيه الروس من خطط عسكرية مماثلة

(٢) — الثروة البترولية في هذا الشرق وأهميتها لعصب الجهاز الحربي لأى من المعسكرين المتطاحنين

(٣) — كون الشرق العربي نقطة القفز إلى القارة الإفريقية التي لها في مستقبل الاقتصاد الأوروبي والأمريكي مكانة بارزة

(٤) — أهمية الشواطىء الشرقية للجزيرة العربية وخليج العجم في الخطط البحرية لأساطيل الحلفاء في المحيط الهندي وفي الرغبة القديمة الكامنة في روسيا للوصول إلى منافذ مائية إلى هذه البحار الآسيوية وإلى البحر الأبيض المتوسط

وقد كثر الحديث عن هذه الأمور — أو عن بعضها — لدرجة أصبحت معالجتها من قبيل الكلام المعاد، وأصبح تحليل أوضاعها من قبيل الابتذال في الاجتهاد الفكري

ولكن الواقع أن معالجة الناس لهذه الأمور — وفي الشرق العربي خاصة — كانت ولا تزال مشوبة بطابع السطحية والنظرة الركنية التي لا ترى الحقائق إلا من جنب واحد، وهذا شيء طبيعي مبعثه العوامل القومية المنيفة التي تتفاعل في تفكير العرب هذه الأيام؛ وقصور الصحافة العربية وألسنة الرأى العام عن الأسباب في معالجة الشؤون الدولية عامة والناحية العربية في الشؤون الدولية على وجه الخصوص — معالجة دقيقة مسهبة

وكل مايطمع كاتب هذه السطور لتسجيله هنا هو جمع أكبر قسط مستطاع من الآراء والتعليقات والتصريحات وما تنطوى عليه سياسة بعض الدول (المعنية بشؤون الشرق الأوسط) من مادة فكرية خاصة بموضوع الدفاع عن الشرق الأوسط، وتنسيق هذه المادة بحيث تعين الباحث في هذا الموضوع على تكوين فكرة شاملة عنه تكون ذخيرة نافعة للذين يهمهم التدقيق في مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط على ضوء المصلحة الجوهرية للحكومات والشعوب العربية؛ وعلى ضوء البرامج التي وضعها كلا المعسكرين المتخاصمين — السوفيتي والغربي — لا كتساب الشرق الأوسط إلى الحظيرة

وإن من الطبيعي أن يتسرب إلى معالجة هذا الموضوع الآراء الشخصية التي يحملها كاتب هذه السطور، فمهما تعمد الكاتب التجرد في تحليله لمسألة من المسائل فلا مفر له من أن يبث في ثنايا السطور أطرافا من تفكيره الخاص

والعذر الصحيح الذي يبرر لكاتب هذه السطور إقدامه على دراسة مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط كونه قد شغل بهذا الموضوع وتتبعه بدقة في مراحله العديدة، وحاول أن يلم بخفاياه وظواهره، وأن يجمع أكبر عدد ممكن من الوثائق، وأن يزن مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط بميزان التحليل المقارن لمسائل الدفاع عن مناطق جغرافية أخرى كالحلف الأطلنطي والجيش الأوروبي وميثاق الدفاع عن الباسفيكي والتحالف الروسي — الصيني في الشرق الأقصى ومكانة الشرق الأوسط في كلا المعسكرين السوفيتي والغربي

وعلى ضوء هذا التمهيد فلنشرع في استعراض هذا الموضوع في شيء من الإطالة

(للكلام صلة)　　　نيويورك　　　عمر حليق

١ – الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

هذه الحكومة الرشيدة التي جاد بهـا الدهر وهو الضنين بأمثالها ، هـذه الحكومة التي ثارت ونهضت لتصرع البغي وتقضي على الفساد ، وخطت في ذلك الخطوات الواسعة السريعة ، جدير بها أن تسرع الخطى إلى مفسدتين استشرى داؤها وكاد يقضي على البقية من الخلق والدين ، هاتان المفسدتان هما : الخمر والميسر

«يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس» (البقرة ٢١٩)

«إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه» (المائدة ٩٠)

« إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر » (المائدة ٩١)

فهذه الآيات الكريمة التي تقرن الخمر بالميسر ، وتجمع بينهما في شرورها وآثامهما ، وخضوعهما للشيطان وقوى الإفساد ، هذه الآيات لا ريب أنها ستجد من أولي الأمر فينا آذانا صاغية ، وإصغاء واعيا لأمر الله وأحكام دينه

وقد بادرت حكومتنا فاتجهت في سبيل سن العقوبات الرادعة لمدخني « الحشيشة » والاتجار بها ، وليست الخمر والميسر بأقل في أضرارها المادية والخلقية والصحية والاجتماعية والسياسية من « الحشيشة » . فعلى موائد الشراب والقمار تضيع الأموال ، وتفسد الأخلاق ، وتعتل الأبدان ، وتتحلل الروابط الاجتماعية ، ويتسلل العدو إلينا فيما بين ذلك غانما رابحا . وقد قرأنا في أثناء ثورة الشعب الأخيرة أن الأموال التي تتدفق من المصريين إلى خزائن الدول الأجنبية ثمنا للخمور يزيد على خمسة ملايين من الجنيهات في كل عام

حقا إن الدولة قد حظرت لعب الميسر على موظفيها ، ولكن موظفيها ليسوا كل شيء في الدولة ، فإن الميسر يتخذ صورا شتى صغيرة في مقاهي القرية والمدينة ، ويبتز أموال الفقراء الكادحين ، ويوقع العداوة والبغضاء إيقاعا يترجم فيما بعد بالقتل وسفك الدماء وارتكاب كثير من جرائم السرقة والسطو والاغتصاب ، فأولى بالحكومة أن تعمم تحريمه فتقطع بذلك دابر أجناس شتى من جرائم الأخلاق وجرائم النفوس

هذه الرغبة الاجتماعية لدعاة الإصلاح في هذا البلد هي التي أوحت إلي أن أكتب هـذا البحث الديني التاريخي ، الأدبي اللغوي ، الذي رأيت حوله ظلاما أردت تبديده ، ورأيت أن لدى كثير من الأدباء رغبة في تجليته وإظهار أسراره ، فإن قليلا من الباحثين هم الذين تعرضوا للكلام على الميسر ، ومن هؤلاء القلة :

١ — برهان الدين البقاعي ، المتوفى سنة ٨٨٥ كتب في تفسيره المسمى (نظم الدرر ، في تناسب الآي والسور) فصلا كبيرا ممتعا ، وقد أفرده المستشرق السويدي (لندبرج) : Cont. c. de landeberg الذي كان يسمى نفسه «عمر السويدي» وطبعه في مجموعة (طرف عربية) في ليدن ١٣٠٣ وسماه (لعب العرب بالميسر في الجاهلية الأولى) وتشتمل الطرفة الأولى على أربعة مؤلفات عدد صفحاتها ١٩١ وفيها هذه الرسالة ، ورسالة أخرى هي « رسالة التنبيه ، على غلط الجاهل والنبيه » لابن كمال باشا . والثالثة « نشوة الارتياح » للسيد مرتضى الزبيدي . والرابعة « ديوان أبي محجن الثقفي » رواية أبي هلال العسكري

٢ — السيد مرتضى الزبيدي ، شارح القاموس ، المتوفى سنة ١٢٠٥ ، ألف في ذلك رسالة سماها « نشوة الارتياح ، في بيان حقيقة الميسر والقداح » ضمنها شرح عبارات البقاعي ، مع إيضاح ما أغفله

٣ — العلامة السيد محمود شكري الآلوسي ، كتب فصلا مسهبا في الجزء الثالث من كتابه (بلوغ الأرب) . وقد صنف في ذلك أيضا كتابا سماه « المسفر ، عن الميسر » وهو مخطوط لم يتسن لي أن أطلع عليه

٤ — ابن سيده الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٨ كتب فصولا لغوية في الميسر والأزلام ، في المخصص (١٣ : ٢٠ — ٢٣)

٥ — وهو أهم أثر تاريخي يعتمد عليه ، لقدم عهده وجلال

مؤلفه ، وهو كتاب (الميسر والقداح) لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ — ٢٧٦) الذى نشره الأستاذ المحقق السيد محب الدين الخطيب ، الذى أدين له بفضل اتجاهى إلى جهاد النشر العلمى ، حفظه الله وأبقاه

وترجع أهمية هذا الأثر التاريخى إلى الطريقة العلمية التى نهجها ابن قتيبة ، وهو استقراء الآثار العربية الأدبية ، لاستخلاص هذا البحث النادر ، على قلة ما وصل إلينا من تلك الآثار التى يذكر فيها الميسر ، وفى ذلك يقول ابن قتيبة مخاطبا من كلفه تأليف الكتاب :

«وقد كلفت رحمك الله شططا ، وحاولت عسيرا ، لأن الميسر أمر من أمور الجاهلية قطعه الله بالإسلام ، فلم يبق عند الأعراب إلا النبذ منه اليسير ، وعند علمائنا إلا ما أدى إليه الشعر القديم ، من غير أن يجدوا فيه أخباراً تؤثر ، أو روايات تحفظ ، والشعر يضيق بالأوزان والقوافى عما يتسع له الكلام المنثور . على أنى لم أجد فى أشعارهم شيئا فى جلالته عندهم وعظيم نفعه ، هو أقل منه ، إنما يعرض فى شعر المكثرين من ذكره البيتان والثلاثة ، وأكثرهم يضرب عنه صفحا . وليس ذلك مذهبهم فى وصف الإبل والخيل والحمير ، والنعام والظباء والقطا ، والفلوات والحشرات . ولم أجد فيهم أحداً ألهج بذكر القداح من ابن مقبل ، ثم الطرماح بعده . ولو جمعت ما فى شعر أحدهما من ذكره لم تجده بعشر ما فيه من وصف حمار أو بعير[1] »

فمن هذا يتضح مقدار الجهد الذى بذله ابن قتيبة ، وكشف به المستور الذى كان يتبعه العرب فى الجاهلية فى لعب الميسر

على أن ابن قتيبة كتب هذا البحث بلغة معاصريه ، وقارب منهجهم الذى لا يسوده النظام الكامل ، ويشيع فيه الاستطراد والحشو

وإنى لمحاول هنا أن أبسط البيان فى هذا بلغة معاصرة ، وبأسلوب أحسبه منظما ، راجعا فى ذلك إلى شتى المصادر التى تعين فى هذا البحث الشاق الوعر ، وبالله التوفيق

لفظ الميسر ومدلوله

لا ريب أن عرب الجاهلية كانوا يطلقون لفظة الميسر غالبا على المقامرة بالأقداح لاقتسام الجزور بطريقة خاصة نذكرها فيما بعد ، وهو ما يعبر عنه أبو حيان فى تفسيره[2] بأنه « قمار أهل الجاهلية »

فالميسر على هذا مصدر ميمى ، كالمرجع من رجع ، والموعد من وعد

ويطلقون الميسر أيضا على الجزور نفسه ، فهو اسم موضع من اليسر ، بفتح الياء ، واليسر : التجزئة ، ولذلك سموا الجازر ياسرا لأنه ييسر اللحم ويجزئه

قال ابن قتيبة : « هذا الأصل فى الياسر ، ثم يقال للضاربين بالقداح المتقامرين على الجزور : ياسرون ، لأنهم أيضا جازرون ، إذ كانوا سبباً لذلك ، وكان الجزور إنما يقع بضربهم ، والجازر يفصل اللحم لهم بأمرهم . وكل من يأمر بشئ ففعل فهو الفاعل له وإن لم يتوله بيده[3] » . فالإطلاق الأول إطلاق مجازى ، والإطلاق الثانى هو الإطلاق الحقيق

وقد ذهب مقاتل إلى أن اشتقاق « الميسر » من اليسر ، لأنه أخذ لمال الرجل بيسر وسهولة ، من غير كد ولا تعب[4]

وقال الواحدى : إنه من قولهم يسر لى هذا الشئ ييسر يسرا وميسرا ، إذا وجب[5]

وقال أبو حيان فى تفسيره : إن السهام التى يقتسم بها يقال لها أيضا « ميسر » وذلك للمجاورة[6] . والوجه فيما ذكره أبو حيان أن يقال إن مجازها من أنها آلة للميسر

على أن الإسلام فيما بعد أطلق « الميسر » على جميع ضروب القمار

---

(١) قارن بهذا النص ما ذكره ابن سيده فى المخصص (١٢ : ٢٠) من قوله : « قال أبو عبيد : سألت الأعراب عن أسماء القداح ، فلم يعرفوا منها غير المنيح ، ولم يعرفوا كيف يعملون فى الميسر » !! وأضف الى ذلك أيضا ما قاله الأصمعى فى تجزئة الجزور الى ثمانية وعشرين جزءا وسيأتى فى الكلام على « الجزار » ومن هذه كلها تفهم الصعوبة والغموض الذى كان عقبة على معرفة العلماء بحقيقة الميسر

(٢) تفسير أبى حيان (٢ : ١٥٧)

(٣) الميسر والقداح ٣٥

(٤) الفخر الرازى (٢ : ٢٢٠)

(٥) الفخر الرازى (٢ : ٢٢٠)

(٦) تفسير أبى حيان (٢ : ١٥٤)

١ — روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إياكم وهاتين الكعبتين فإنهما من ميسر العجم [٧] » . فقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لعب « النرد » ضربا شبيها بميسر العرب في اقتسام الجزور . والكعبة في هذا الحديث هي الفص من فصوص النرد ، يقال له « كعب » و « كعبة » أيضا

٢ — وفي الحديث أيضا أنه « كان يكره الضرب بالكعاب [٨] »

٣ — وعن ابن سيرين ومجاهد وعطاء : « كل شيء فيه خطر — وهو ما يأخذه الغالب في النضال والرهان ونحوهما — فهو من الميسر ، حتى لعب الصبيان بالجوز [٩] »

ولا يزال اللعب بالجوز ونحوه من البندق والفول السوداني وقصب السكر متعارفا بين صبياننا إلى هذا العهد ، يزاولون ذلك بطرق مختلفة

فالتابعون والفقهاء قد ألحقوا بميسر الجاهلية كل ما عت إليه بسبب من مختلف ضروب القمار ، قاسوا هذا بذاك [١٠] ، ولم يستثنوا من ذلك شيئا إلا السبق في الخف والحافر . قال الفخر الرازي : « أما السبق في الخف والحافر فبالاتفاق ليس من الميسر ، وشرحه مذكور في كتاب السبق والرمي من كتب الفقه »

وأما الشطرنج والنرد ونحوها فكراهتهما لما فيهما من شبهة القمار . قال الفخر : « قال الشافعي : إذا خلا الشطرنج عن الرهان ، واللسان عن الطغيان ، والصلاة عن النسيان ، لم يكن حراما » . قال : « وهو خارج عن الميسر ، لأن الميسر ما يوجب دفع المال أو أخذ مال ، وهذا ليس كذلك فلا يكون قمارا ولا ميسرا »

وقال مالك : الميسر ميسران : ميسر اللهو ، فمنه النرد والشطرنج والملاهي كلها . وميسر القمار وهو ما يتخاطر الناس عليه [١١]

وقال ابن قتيبة [١٢] بعد أن ذكر الميسر الذي حرمه الله في الكتاب ، وهو ضرب القداح على أجزاء الجزور قمارا : « ثم يقال للنرد ميسر على التشبيه ، لأنه يضرب عليها بفصين كما يضرب على الجزور بالقداح ، ولأنهما قمار كما أن الميسر قمار ، ولا يقال للشطرنج ميسر ولا من الميسر ، لأنها فارقت تلك الصفة وتلك الهيئة إنما هي رفق واحتيال »

ويفهم من هذا النص إما أن لعبة الشطرنج في عصر ابن قتيبة لم تكن مجالا للمقامرة ، أو خفي على علمه أن لاعبيها كانوا يقامرون عليها ، ولكن معرفته بأن النرد كان مجالا للمقامرة يرجح أن الشطرنج لم تتخذ في عصره موضعا للمقامرة

وكان القوم ينفرون من الشطرنج ولاعبيها نفورا شديدا . روى الراغب الأصفهاني [١٣] أن أهل المدينة كانوا إذا خطب إليهم من يلعب الشطرنج لم يزوجوه . وذلك لما كانوا ينظرون إليه من نقص دينه ، ولأنهم كانوا يزعمون أن الشطرنج « إحدى الضرتين » ، وذلك لما يشغل صاحبه شغلا عن أهله وبنيه

لفظ القمار ومعناه

والقمار لفظ أعم من الميسر ، إذ يطلق على جميع أنواع المراهنة . يقال : قامره مقامرة وقمارا ، إذا راهنه ؛ وقمره قمرا ، إذا غلبه في ذلك . وفي حديث أبي هريرة [١٤] : « من قال تعال أقامرك فليتصدق بقدر ما أراد أن يجعله خطرا في القمار » . ويقال تقمر الصياد الظباء والطير بالليل ، إذا صادها في ضوء القمر فتقمر أبصارها في ضوئه ، أي تعشى وتتحير فتصاد . والتقمر : الاختداع . فرجع القمار إنما هو إلى الخداع . وكذلك يفعل لاعب القمار ، فإنه يحاول اختداع صاحبه لتكون له الغلبة عليه

لفظ الأزلام ومعناه

والأزلام جمع زلم بالتحريك وبضم ففتح . والزلم ، والسهم ، والقدح بالكسر مترادفة المعاني ، تدل كلها على قطعة من غصن

(٧) الفخر الرازي (٢ : ٢٢)
(٨) لسان العرب (كعب)
(٩) الفخر الرازي (٢ : ٢٢)
(١٠) في الخزانة (٢ : ٢٠٧) نقلا عن الزجاج في تفسيره : « إجماع العلماء أن القمار كله حرام ، وإنما ذكر الميسر من دونه — يعني أنه ذكر في الكتاب — وجعل كله حراما قياسا على الميسر ، والميسر إنما كان قمارا في الجزر خاصة »
(١١) تفسير أبي حيان (٢ : ١٥٧)
(١٢) الميسر والقداح ٣٦
(١٣) محاضرات الراغب (١ : ٣٤٦)
(١٤) اللسان (قمر)

مسواة مشذبة

وأكثر ما يستعملون « الزلم » في « الاستقسام » ، وهو ما سنفرد له قولا خاصا . وأكثر ما يستعملون « السهم » في سهم القوس الذي يرمى به ، وأكثر ما يستعمل القدح في قداح الميسر التي تجال لقسمة الجزور ، وكل من هذه الألفاظ الثلاثة ينوب عن الآخر في الاستعمال

زمان الميسر

لم يكن الميسر عند العرب لهوا يلهون به ، ولعبة يلعبونها ، إنما كان نظاما اجتماعيا دعتهم إليه ظروفهم الاجتماعية ، وساقتهم إليه طباعهم البدوية ، فالباعث الحقيق عليه كان «الكرم» وكان التباهي بالكرم ، وهذا الأخير هو الذي أظهر الدين كراهته فيما بعد ، كرهه الدين وكره معه أيضا ما كان يصحب هذا الصنيع من نزاع وجدال وخصومة في سبيل الظفر بأوفى نصيب ، هذا إلى ما يقارنه من المخاطرة بالمال والتعرض للفقر

ومن بواعثه أيضا إعانة الفقراء فيما بينهم ، إذ كان الفائز منهم بنصيب لا يتناول منه شيئا ، بل يلقيه إلى المحتاجين والمعوزين من ذويه ، ليسد أرماقهم

قال أبو حيان [١٥] : « وأيهم خرج له نصيب واسى به الفقراء ، ولا يأكل منه شيئا ، ويفتخرون بذلك » . ثم قال : « وربما قامروا لأنفسهم » أي إن ذلك أمر نادر

والحاجة والعوز — وهما المتطلبان للكرم والجود — إنما يشتدان في وقت الشتاء عند العرب ، وذلك عندما تجدب البلاد وتقشعر الأرض ، ويتعذر القوت على طالبه ، وحينها يكلب الزمان وتضن البلاد بخيراتها ، والنوق بألبانها

وليس في طوقك أن تتصور حال البؤس وشظف العيش الذي يتعرض له الأعراب في باديتهم في ذلك الزمان ، ومقدار الحاجة الملحة التي كانت تنزل على الأرامل والأيتام في تلك المجدبة والمسنبة

فالوقت الطبيعي للميسر عند العرب هو فصل الشتاء ، وهم يختارون الليل في ذلك الفصل ، لأن الليل وقت طروق الضيف ، وحين اشتداد البرد ، فيوقدون النار ليهتدي بها الضيف ، وليستطيعوا أن يزاولوا هذا العمل في يسر

وكان الرجل من العرب يخشى الصيف ، أن يحضر الصيف ولم يكن صنع لنفسه في شتائه مفخرة تذكر له حين تذكر المفاخر ، فهو يخشى أن يعير في الصيف بنكوصه عن المشاركة في هذا الجهد الاجتماعي ، وإمساك يده عن مساعدة القبيلة

إذا يسروا لم يورث اليسر بينهم
فواحش ينعى ذكرها بالمصايف [١٦]

وذلك أنهم يخصبون في الصيف فيتذاكرون ما كان من الناس في الشتاء ، فيعير كل امرئ بسوء فعله [١٧]

وقد سجل الشعر العربي أن الميسر يكون في الشتاء ، فقال الأعشى :

المطعمو الضيف إذا ما شتوا والجاعلو القوت على الياسر

وقال متمم بن نويرة :

ولا برما تهدى النساء لعرسه إذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

البرم : الذي لا يدخل معهم في القداح ، ويسمونه أيضا « المزال » [١٨] . وإذا كان الرجل كذلك لم يدخل اللحم بيته إلا بأن يهديه نساء الحي إلى امرأته

وقال طرفة :

وهم أيسار لقمان إذا أغلت الشتوة أبداء الجزر

.. الأبداء : جمع بدء ، وهو النصيب من الجزور

وقال عنترة :

ربذ يداه بالقداح إذا شتا هتاك غايات التجار ملوم

وقال لبيد :

وبيض على النيران في كل شتوة سراة العشاء يزجرون المسابلا

قال ابن قتيبة [١٩] : يريد أنهم يضربون بالقداح فيصيحون بها ويزجرونها إذا ضربوا ، كما يفعل القامرون بالنرد

للبحث بقية عبد السلام محمد هارون

(١٥) تفسير أبي حيان (٢ : ١٠٥) ، ومثله الفخر الرازي (٢ : ٢٢٠) ، وفي الخزانة (٢ : ١٢٧) : « وكان الغالب يفرق ما أخذه على الفقراء »

(١٦) الزاش في المفضلية ٥٠ طبع المعارف
(١٧) الميسر والقداح ١٠٧
(١٨) اللسان (عزل)
(١٩) الميسر والقداح ٥١

في توديع الرئيس ترومان

تمثال البيت الأبيض

للدكتور علي شرف الدين

في البيت الأبيض — حيث يقيم الرئيس ترومان — أبدع ما أخرج الفن الحديث من معجزاته الروائع ، فيما يرى الناظر من التماثيل القائمة في مداخل القصر وحدائقه ، وفي أبهائه وتحت شرفاته . طراز جديد من فن الثالة الحديثة ، يكاد يسبق هذه الآيات الخالدة التي حفظها لنا التاريخ عن أيدي الإغريق . وإذا كانوا يقولون إن الفن الإغريقي قد سبق الطبيعة ، وكأنه في سبقه لها ، وتجاوزه لصورها ، يقيم لها مثالا يتحدث إليها في صمت : بأنه كان يجب أن تكون على غراره — فإن تماثيل البيت الأبيض لا توحي بهذا إلى النفس فقط ، ولكن كل واحد منها ينطق مفصحاً عما يريد ، حتى ليرن صدى صوته في الأذن ، وحتى لتكاد أسارير وجهه تأخذ بين الفينة والأخرى مسحة جديدة تعبر عن عواطفه ، وحتى ليكاد الرائي يسمع خفقات قلبه بين ضلوعه الصخرية الجامدة

وهم يقولون إن الرئيس ترومان كثير النظر إلى هذه التماثيل طويل الوقوف إلى جانبها ، وإنه — على أن السياسة تأخذ حياته من أقطارها — له لحظات يخلو فيها إلى الفن ، حيث تسبح نفسه في عالم الخيال ساعة من نهار ، وإن انغمست بقية يومها في متاعب الدولار

ولعل أبلغ هذه التماثيل أثراً في نفس الرئيس ترومان ، هو تمثال الوطن ، وهو يتألف من صخرة طبيعية قد اتخذ المثال من جانبيها المتدين في انحناء درجاً يصعد يمنة ويسرة ، حيث يلتقيان عند سطح مستو ينهض فيه تمثال أم حنون ، تستقبل أطفالها عند الغروب ، وهم يصعدون إليها في جانبي الدرج متدافعين متعثرين ، ولكن جباههم على تعثرهم تتجه نحو الأم دائما ، بينما تمد الأم يديها نحو الجانبين جميعا ، لا يلهيها أحدهما عن الآخر ، في إقبال كله العطف والرحمة والوفاء

قالوا إن الرئيس ترومان قد ألف الوقوف إلى جانب تمثال الوطن ، وإن جواره للتمثال أمر لا مفر منه في حياته اليومية ، لأنه تمثال الوطن — مع أنه يقع خلف البيت الأبيض وفي جانبه الذي تكاد أبوابه تنغلق طول العام — هو طريق وحيد يدلف منه المار إلى ربوة صناعية تحتشد فيها مواكب من الزهر النادر ، تآزر فيها جمال الطبيعة مع ألوان التطعيم الصناعي ، يختلف إليها الرئيس من حين لآخر ، ينشد عندها نشاط نفسه وإشراقها ، كلما أرهقتها مظالم الحضارة

ولكن المتصلين بالرئيس ترومان قد رأوا منه ما أثار الدهشة في نفوسهم . فقد أخذ وقوفه إلى جانب التمثال يقصر عن ذي قبل ، ولم يعد سكونه إليه يحفه هذا الحلم الجميل يشيع في أقطار نفسه ، ثم يستحيل في جبهته وعارضه ضياء مشرقاً . لم يعد سكون الأحلام والطيوف ، ولكنه ذهول عميق تكتسي فيه صفحة وجهه فنوناً من الألوان تضطرب دائما بين الشحوب والسواد . ولم يمض غير يسير من الزمن حتى هجر الرئيس تمثال الوطن ، ولم يعد يختلف إلى هذه الربوة من النوار ، يصطنع فيها ما يصطنعه الفنانون وأصحاب العاطفة ، حين يقرأون كتاب الوجود في المروج والزهر . وللرئيس مع تمثال الوطن ما نسميه مجرى العادة المكبوتة — إذا صح هذا التعبير — لا يكاد يتجه نحوه عن غير قصد ، حتى يدور على عقبه في حركة عصبية لا تخلو من ألم ، والتفاتة مفاجئة لا تخلو من حزن ، وسرعان ما يجرى في تضاعيف وجهه سحابة ليست هي الألم والحزن ، ولكنها شيء أمر من الألم والحزن : هي التمرد الذي لا يخلو من خوف ، وهي محاولة النسيان تصرخ في جوانبها المغالطة ، يضطرب فيها الرئيس أشد الاضطراب وأعنفه وقد خذله النسيان كلما مر بتمثال الوطن

ويؤرخ المراقبون لحياة الرئيس اليومية هذه الحركة التي لا تخلو من حزن مرير يخالطه الألم والخوف واليأس جميعا بعام سنة ١٩٤٨ بعيد خروج العرب من فلسطين عنوة ، بأمر الرئيس ترومان وتدبيره ، ويقولون إنه غالب شعوره في أول الأمر بفنون من رباطة الجأش المصنوعة ، وضروب من الجمود

لا تجديه فتيلا ، ومع أن الرئيس ترومان معروف بإصرار مرهق مبعثه الجمود ، ومشهور بجمود طبيعى مبعثه الإصرار سواء فى الحق أو الباطل ... فإن جموده الطبيعى قد خانه فى موقفه مع التمثال ، فلا تكاد عينه تقع عليه حتى تمضى فى أعصابه هزات عنيفة هى هذه الصواعق المهلكة من الحزن والألم والخوف جميعا ، وحتى تمضى بنفسه خواطر صارخة قاتلة ، تحمل فى روقها شريطا متصل النكبات على نفسه الإنسانية ، فيما يتمثل له فى الجوع والعرى والبرد والفقر ...

ولو أن ما تحمل الذكرى إلى نفس الرئيس ترومان كان مقصوراً على الفقر والعرى والجوع والبرد ، لهان أمرها وغالب ضميره بشئ من الجمود هو فيه طبيعى ، واستطاع أن ينسى إنسانيته فى ساعات الذكرى ، لأن الفقر والعرى والجوع والبرد هى محن مادية مهما بلغ أثرها ، تصيب الجسم فتسبغ عليه النعمة والرقة ، أو تذيقه الشقاء والألم . مصابه ليس إذن ماديا ، ولكنه مصاب روحى يتجاوز هذه الكلمات اليسيرة فيما نسميه الظلم والنمرة والطغيان . مصابه أنه أوضح للخليقة ، وكتب بيده فى سجل التاريخ ، أنه رجل لا يدرك ما معنى الوطن ، ولا يستطيع أن يحس هذه الروابط القدسة الحبيبة بين الإنسان ووطنه ، على سهولة إدراكها ، ويسر الشعور بها — حتى عند الحيوان — لأنها من أوليات الشعور

أما لك أيها الرئيس منزل بالريف ، ورثته عن (أبوك) مثلا ، متواضع أشد التواضع ، حتى ما تحب أن تستقبل فيه ضيفك ، ولكنه على تواضعه ، وعدم أهليته لاستقبال الضيف تحب أن تراه من آن لآخر ؟ فتهجر البيت الأبيض ، وما أقامت لك فيه أمريكا من مجد منصوب زائف ، إلى حيث هذا المنزل المتواضع ، حيث تحس فى قربك منه برد الراحة ، برد إلى نفسك الشفاء والعافية ، وقد أثقلتها مظالم الحضارة ، وحيث تشعر بجمال الصدق والبقاء على الوفاء فى موطن هجرته إلى خير منه ، فما تنير عليك إذ فارقته ، ولا تنكر إذ هجرته ، ولكنه ظل صادقا فى استقباله لك ، وفيا مخلصا يحمل إلى قلبك خير الذكريات حتى أصبح جزءا من حياتك ، أو هو الحياة نفسها فى أسمى معانيها الروحية

لقد سمعت أن الدكتور فاضل الجمالى معنى أشد العناية بعرب فلسطين الذين طردهم ترومان عنوة من ديارهم قبيل الانتخابات (النظيفة) التى أعطته مكانه فى البيت الأبيض . لقد عرض عليهم ترحيب البلاد العربية بقدومهم ، وأنهم منها ومن صدور أبنائها فى المكان الرحب الكريم ، فماذا كان جوابهم ؟ لقد أجابوا : لا نريد بغير وطننا بديلا . ليس هناك جواب أصدق وأروع من جوابهم : « لا نريد بغير وطننا بديلا » . وإنى أؤكد — وهم العرب الخلص — لو كانوا قد نشأوا فى سيبيريا وفى أصقاع الشمال الباردة ، ما ألهتهم عروبتهم الخالصة عن نسيان وطنهم فى سيبيريا ذات البرد القاتل ، ولكان جوابهم : نحن عرب ، ولكننا لا نريد بغير وطننا بديلا

إن الشعوبية أو العصبية الجنسية لها أواصرها القوية ، وروابطها المقدسة ، ولكن روابط الأوطان تظل أبداً أقوى وآكد ، لأن روابط الشعوبية تقوم على الدم واللغة وطراز الحياة ، وهى فى جملتها روابط روحية بحتة فى جملتها وتفصيلها ، إنها الروابط الرفافة ذات الإشراق بين الوطن وقلوب بنيه ، تضئ وتخفى ، وتلطف وتلطف ، حتى تسبق فى ضيائها ولطفها خواطر المتصوفة ، وأروع ما فيها أنها قد تكون روابط ذكريات كلها دموع وشجن ، ولكنها مع هذا حبيبة إلى النفس ، وهى سلوتها فى حياة تزدحم بالشرور والآلام ، ولكن من أين للرئيس ترومان أن يدرك هذه الروحيات ؟

قل لى أيها الرئيس : ماذا يستطيع عرب فلسطين الذين أخرجتهم عنوة من وطنهم أن يصنعوا إذا أرادوا دعوة فيصل لزيارة وطنهم كما دعوته أنت لزيارة وطنك ؟ ماذا يستطيعون أن يصنعوا وهم أحق منك بهذه الدعوة لأسباب كلها الصدق والوفاء : لأنه عربى مثلهم ، ولأنه سيد شعب ، وسليل بيت ، وأثر نبوة . فهم حين يدعونه إنما يقيمون دعوتهم على دعائم كلها المودة والصدق الخالص الصريح . وأغلب الظن أنك ما دعوته إلا بعد أن أمسكت بقلم الحاسب الذى يعتمد على الأرقام والأعداد من بترول ؟ لعلك قد خرجت من هذه (الحسبة) بنتيجة خاطئة ، فتوهمت أنها قد تعطيك (جالونا) من بترول العراق !

من سوء حظ العرب أن يموت روزفلت ، وقد نهضوا

لاسترداد حقوقهم . لقد كان روزفلت رجلا جهيد الجسم ، ضخم الأعطاف ، بعيد المناكب ، ومثل هذا الجسم الكريم هو صورة لكرم النفس وسخائها وتأثرها ، وهو إذا جاع أو برد كان إحساسه بالجوع والبرد أسرع وأبعد من غيره من الأجسام الضنينة ، لأن الشعور بالحاجة في الجسم الكريم السخي أكثر منه في الجسم البخيل بأصله ، الجائع بطبعه . والرئيس ترومان له جسم ككل الأجسام ، ولكنه ضنين بخيل . وهو في بخله وضنه ليس على استعداد لأن يحس الجوع والبرد — فضلا عن أن يحس الحزن لفقد الوطن — لأنه جسم جائع من قبل أن يناله الجوع ، بارد من قبل أن يصيبه البرد . ومهما بلغ الجوع والبرد من الشدة فلن يكون لهما أثر ملحوظ في جسم ينقصه الشبع ، ونفس ما عرفت الوفاء ، وماذا يصيب الفقر من الفقير ؟

عقب تولى الرئيس ترومان سأله كثير من الصحفيين : « أما يفكر الرئيس في أن تقبل الولايات المتحدة استقبال بضعة آلاف من يهود أوروبا ؟ » — وكان ذلك قبل أن ينفذ نيته التي بيتها للعرب — وكان جواب الرئيس : « أنه لا يفكر الآن في تغيير قوانين البلاد ... »

إنه لا يفكر في تغيير قوانين بلاده الموضوعة ، فهو يحترمها ولا يأذن بالهجرة إليها على ثروتها واتساعها . ولكنه يفكر في إخراج الناس من أوطانهم لقاء أصوات الناخبين من اليهود !

حين تولى الرئيس ترومان ذكرت بعض الصحف حديثا لكاتب يصف فيه الرئيس الجديد بهدوء الأعصاب ، ورباطة الجأش ، وقد بالغ الكاتب في وصفه حتى قال : إنك لو ضربته بقبضة يدك في أرنبة أنفه على حين غفلة منه ما تحرك هدب عينيه .. » وقد تكون قوة الأعصاب محمودة في الرجال عند الحوادث التي تصيبهم ، أما الرباطة والهدوء في كوارث ينسجون لغيرهم حوادثها ، ويعقدون فيها المؤامرات فليس ذلك مما قصد إليه الكاتب ، لأن فرقا واضحاً بين الرباطة والقسوة ، وبين الهدوء والجمود ، وبين قوة الأعصاب والبلادة ، وإذا كانت السياسة تقوم على الخدعة والمناورة ، فليست (الثعلبة) من معانيها في أى قاموس إنسانى ، يصطنعها الأقوياء للسرقة والسطو ، فإن كانت السرقة عنوة وفي النهار الضاحي من معانيها ، فهي ليست السياسة إذن ، ولكنها صناعة الوحل ، وإن سماها الظالمون « حق المهنة »

قالوا إن جماعة من خلصاء ترومان سألوا وألحفوا في السؤال : « مابال الرئيس لم يتقدم في الانتخاب الحاضر لرئاسة الجمهوريات المتحدة ؟ » وظل الرئيس ساكتا لا يجيب ، مع إلحافهم وكثرة سؤالهم ، وظل الجواب مجهولا ، حتى عند الخاصة من خلصاء ترومان ، حتى أبصره خدم البيت الأبيض في لحظات خاطفة ، يهرع إلى تمثال الوطن ، يطيل النظر فيه ، وتجرى في لسانه مناجاة خافقة مضطربة ، يتهدج في خلالها صوت جريح مخنوق :

« يسألونني : لماذا لم أتقدم في الانتخاب الحاضر لرئاسة الدول المتحدة ؟

لأنني لم أعد أحب أن أكون رئيساً في انتخاب ملوث ، أشترى فيه أصوات الناخبين بأوطان الناس »

« باريس » — علي شرف الدين

أدب التاريخ
أو التاريخ الشعرى

للأستاذ خليل رشيد

ليس الغرض من مقالنا بيان فضل التاريخ وما يحدثه من أثر طيب بتربية الذوق الأدبى . إنما غرضنا الحديث عن فن أدب التاريخ أو كما يسميه صديقنا المرحوم النقدى عضو مجلس التمييز الشرعى ببغداد ، بضبط التاريخ بالأحرف

وسأقدم إليك لوحة فنية من مبدعات هذا الفن الخالد بخلود التاريخ ، وقد أضفت إليها ريشة الفنان بُرد الفن ولبوسه ، وأسبغ عليها قلم المؤرخ أبدع روائعه . وسأقدم لك جهبذاً من جهابذة هذا الفن وغريداً تغنى على فن الشعر ، وصدح فى رياض الأدب منذ نصف قرن أو تزيد قليلا ، هو الحاج مجيد[1] المشهور بالعطار نور الله مرقده

والحاج مجيد سريع النكتة ، حاضر البديهة ، شاعر بما يريد أن يقول ، يغذى شعره عصارة فكره ودم قلبه . عميق الفكرة ، متين القول ، سلس الأسلوب ، فإذا حلق فى سماء الفكر خرت التواريخ أمامه صاغرة ليختار الجيد الجميل منها ، ويرجع بغنيمة الظافر المنتصر ، وقد ضمن التاريخ نكتة أدبية رائعة ، تبهرك إعجابا بعظمة الفكر وسرعة الخاطر . فى شعره جزالة القديم ورقة الحديث ، وفيه دقة المعنى وروعة التصوير . . وليس هذا النوع من الأدب سهل المأخذ ، بل هو صعب جموح ، يخضع لقواعد ونظم قدلا يخضع لها غير أدب التاريخ من الفنون الأدبية الأخرى

منها :[2] ما يحسب فى التاريخ على الطريقة المألوفة فى علم الخط لا مايكتبه المؤرخ حسب رأيه ، فالمعتل بالياء سواء كان اسما كموسى ، أو فعلا كرمى ، أو حرفا كإلى لا يحسب آخره فى التاريخ ألفاً ، وإنما يحسب ياء ، فالأول كقول أحد الفضلاء فى تاريخ وفاة أحد العلماء الأعلام :

مضى الحسين الذى تجسد من   نور علوم من عالم الذر
قدس مثوى منه حوى علماً   مقدس النفس طيب الذكر
أوصافه عطرت فأنشقتنا   منهن تاريخه شذى العطر

والثانى كقول عبد الغفار الأخرس ، يؤرخ وفاة السيد عبد الرحمن النقيب وفيه الشاهد للثالث أيضا :

يوم به قيل أرخ   مضى إلى ربه النقيب
سنة ١٢٩١ هـ

وفى الثالث : قول عبد الباقى العمرى ، يؤرخ تعيين المشير رشيد الجوزكلى لبغداد :

بشرى لبغداد فقد أرخوا   إلى رشيد أب قطر العراق
سنة ١٢٦٩ هـ

وقد أهمل المد فى آب .. والصحيح عدم إهمالها

ومنها : اختلافهم فى بعض مايكتب ، كالتاء التى تكون فى الوقف هاء ، كفاطمة . والهمزة الواقعة فى آخر الكلمة ، كهمزة ، جاء . وداء . ورجاء . وأمثالها . . والألف من لفظ الجلالة ، والألف التى يوضع لها علامة المد

أما التاء التى تكون فى الوقف هاء فقد عدها جماعة من الأدباء هاء ، والصحيح أنها متى تحركت كانت تاء . وتعد بأربعمائة؛ وإذا وقف عليها كانت هاء وعدت بخمسة ، وكذلك الهمزة من جاء وأمثالها ، عددها واحد عند الحساب كأختها الألف كما فى قول عبد الباقى العمرى يؤرخ دار العلامة الألوسى صاحب تفسير

(١) حدثنا عنه الدكتور البصير . فى كتابه نهضة العراق الأدبية فى القرن التاسع عشر . ص ٢٠٨ فقال : أما العطار الحاج مجيد . فكان متوقد الذهن . سريع الخاطر إلى درجة مدهشة . ولا سيما فى التاريخ بالشعر . وكان شديد التمسك بالدين . حسن الإلمام بالعربية . بديع الخط . كما أنه كان محترما عند الجمهور احتراماً غير قليل

وذكره صديقنا فضيلة الأستاذ صادق بحر العلوم . قاضى الشرع الشريف لمدينة العمارة . بمجموعه الرائق فقال : الحاج مجيد بن محمد بن أيبك الشهير بالعطار . بغدادى الأصل . على المنشأ والمسكن . كان مولده ببغداد . فى شهر ذى القعدة سنة ١٢٨٧ هـ . ونشأ فى الحلة وبها نال مانال من أدب وكمال . وفى سنة ١٣٣٤ هـ انتقل بأهله إلى ناحية الكوفة من قضاء النجف الأشرف . وكنت أجتمع به كثيرا . وأكتب من بنات أفكاره ما يمليها على بنفسه . فلم أر من يضاهيه فى سرعة البديهة وقوة الشعر

وقال فضيلة الأستاذ المرحوم النقدى فى كتابه ضبط التاريخ بالأحرف ص ١٢ ماهذا نصه . « ولقد برع هذا الفاضل فى التاريخ نظما ونثرا . حتى كان يؤرخ الوالدة فى لحظة واحدة من غير كد ولا تعب اهـ . . .

(٢) القواعد مأخوذة من ضبط التاريخ بالأحرف للنقدى

روح المعانى

بنورك ياشهاب الدين أرخ أضاء مقامك المحمود حسنا

سنة ١٢٥٢ هـ

أما الألف الساكنة مع واو الجماعة فإنها تحسب لأنها تكتب . . . وكذلك واو عمرو ، وأما الألف التي على الهاء من هذا فإنها تحسب أيضا لأنها تكتب منفصلة من الذال ومتصلة ، والانفصال خط الأكثر ، والاتصال خط المصحف ، وكذلك الألف التي يبدأ بها لفظ الجلالة . . أما المد فقد استقر الرأى أنه مع احتياج الكلمة إليه ، فى الاستقلال يحسب ، وإذا استقلت الكلمة بدونه وأمنت اللبس فلا يحسب ، فالأول كالمد فى آل . فإن الكلمة لا تستقل بدونه لأنها تلتبس بأل وأمثالها . . وأما المد فى آب ومنه قول الشيرزى فى وفات الخليعى :

بشره بالخير واعذر من يؤرخه فللخليعى لما آب أفنان

سنة ١١٢٧ هـ

والثانى كالمد فى لفظ الجلالة ، فإن الكلمة لا تلتبس بغيرها ، لشهرتها واختصاصها . . وأما المد الواقع فى آخر الكلمة الدال على معنى مقصود . كهاء وتاء وباء وأشباهها فهو يحسب عند الجميع

ومنها : إفراز مادة التاريخ بلفظة أرخ أو يؤرخ أو أرخت أو أرخوا وأمثالها ، أو ما يفيد معنى هذه الألفاظ .. ومثل ذلك كقول بعضهم فى تذهيب قبة الإمام على عليه السلام :

ياطالبا عام إبداء البناء لها أرخ تجلى لكم نور على نور

سنة ١١٥٥ هـ

وقول الشيخ حسن الشامى فى ولاية حسن باشا لمصر :

ولسان الحال يؤرخه كملت مصر بجمال حسن

سنة ١٠١٤ هـ

وقول العمرى عبد الباقى يؤرخ وفاة العلامة شهاب الدين الآلوسى صاحب روح المعانى :

حور الجنان به حفت مؤرخة جنات روح المعانى قبر محمود

سنة ١٨٢٠ هـ

وربما تزيد مادة التاريخ أو تنقص ، فيجوز الإكمال أو التنقيص بنكتة أدبية .. فالأول كقول بعضهم فى تعمير مسجد صاحب الجواهر :

تم بأقصى اليمين تاريخه شيد على أسس التقى ركنه

سنة ١٣٥١ هـ

أشار بأقصى اليمين إلى إضافة خمسين، وفيه النكتة الأدبية.. والثانى كقول بعضهم أيضا فى تزيين قبة الإمام على عليه السلام بأمر أحمد خان النواب :

فأخ والق عصاك وادع مؤرخا للخير وفق أحمد النواب

سنة ١١٩٨ هـ

إشارة إلى إلقاء واحد من المجموع وهى نكتة أدبية لطيفة

وقد تفنن الأدباء فى هذا الفن . فمنهم من نظم القصيد وجعل كل شطر من شطراتها تاريخا كما فعل النحلاوى بمدح الشيخ عبد الغنى النابلسى . . ومنهم من جعل معجم كل شطر منها تاريخا كما فعل عبد الباقى العمرى فى مولد حفيده وسماها الجوهرة . . ومنهم من جعل من معجم كل بيت ومهمله تاريخا كما فعل الشيخ ناصيف اليازجى . . كما عرفنا عليه أستاذنا الجليل أحمد حسن الزيات فى كتابه تاريخ الأدب العربى ص ٤٥٨ فقال :

(و شعره على طول معالجته له ، وقوة طبعه فيه ، أشبه بشعر الحريرى وأضرابه ، وبخاصة تلك القصائد التى تكلف فيها التاريخ الشعرى ، فقد غالى فى ذلك وأسرف ، حتى كان يضمن البيتين ثمانية وعشرين تاريخا ، أو ينظم القصيدة ، فيلزم فى كل شطر من شطراتها تاريخا ، كقصيدته فى تهنئة إبراهيم باشا فى فتح مكة)

تعجبنى لباقة الأستاذ الزيات ولفتته الأدبية فى تعريف الأدباء وتحليل نتاجهم الأدبى . هو كصيدلى بارع ، يزن الدواء بمقدار . .

لنعد لمجرى الحديث عن أديبنا الحاج مجيد ، فهو أديب عرفته الأوساط الأدبية فى القرن التاسع عشر بالعبقرية والنبوغ وسعة الفكر والخيال والدين ، ويكاد رحمه الله يختص بأدب التاريخ ، وهذه الملكة الفنية عنده من السهولة بمكان . وقد حدثنى عنه صديق الأستاذ اليعقوبى ، عميد جمعية الرابطة الأدبية

فى النجف ، أحاديث من الغرابة بمكان ، بحيث يؤرخ فى بيت واحد من الشعر تواريخ عدة ، لا يستطيعها غيره من الأدباء ، وغير من أرشدنا إليه الأستاذ الزيات :

عاش شاعرنا ، وقضى باكورة شبابه والشيء الكثير من شيخوخته بين الزاغ والدباغ ، وما تتطلبه مهنة العطارة وتقتضيه ، كى يحصل على قوته ويوفر لأهله الخبز الحر الذى يستسيغه ويستطيبه من كده وكدحه . وهو من المؤمنين بحكمة المثل القائل : من عجز عن زاده اتكل على زاد غيره . . وكان رحمه الله مثالا صادقا من أمثلة المسلم الصحيح ، ذا نسك ودين ، كما ينبيء بذلك قوله :

ما شاقنى قرب الحمام وإنما أشتاق قرب الواحد المنان
لأشم ريح العفو عنـد لقائه وأذوق طعم حلاوة الإحسان

وقوله مناجيا ربه :

أمحصلا ماقى الصدور بموقف لا عذر فيه لنا عن العصيان
أتقيم فينا العدل يحكم وحده وأمرتنا بالعدل والإحسان

ومن ظريف ماروى عنه رحمه الله أن شاعرا مكثرا استحسن بيتين لشاعرنا فشطرهما . فصار البيتان والتشطير أربعة أبيات ، ثم شطر الأربعة الأبيات فصارت ثمانية ، ثم شطر هذه أيضا فصارت ستة عشر بيتاً ، ثم شطر الستةعشر بيتاً ، فصارت اثنين وثلاثين بيتا ، كتبها وقدمها إلى صاحبنا العطـار

فلما رآها نظر إليه وقال ، صديق الشيخ ! أتسكب أربع قرب من الماء على قدح صغير من عصير الليمون ؟ فعل الله بك وفعل ! . . .

ولسنا الآن بصدد هذا كله ، وإنما نحن بصدد الحديث عن أدب التاريخ . . وإليك بعض أعاجيب هذا الشيخ فى هـذا الباب : هذان بيتان أرخ فيهما زواج السيد أحمد بن السيد مرزا القزوينى ، محتوية على ثمانية وعشرين تاريخا وهى :

أكرم بخزان علم أم وارده منكم لزاخر بحر مـد آمله
زفت إلى القمر الأسنى بداركم شمس لوار وزان البشر حامله

وهذان بيتان آخران ، أرخ فيهما مقام الإمام على عليه السلام فى الحلة ، على نفقة العلامة السيد محمد القزوينى ره ، وهى :

يباب مقام الصهر مرتقباً نحا أخو طلب بالبر من عـلم برا
مقام رب البيت فى منبر الدعا أبو قاسم جر الثنا عما أجرا
١٣١٦ هـ

والتواريخ هذه . على النمط التالى : [٢]

(١) صدر الأول (٢) عجزه (٣) صدر الثانى (٤) عجزه (٥) مهمل البيت الأول . (٦) معجمه (٧) مهمل صدر الأول مع معجم عجزه (٨) معجم صدر الأول مع مهمل عجزه (٩) مهمل البيت الثانى (١٠) معجمه (١١) مهمل صدره مع معجم عجزه (١٢) معجم صدره مع مهمل عجزه (١٣) مهمل الصدرين (١٤) معجم الصدرين (١٥) مهمل صدر الأول مع معجم صدر الثانى (١٦) معجم صدر الأول مع مهمل صدر الثانى (١٧) مهمل العجزين . . . (١٨) معجم العجزين (١٩) مهمل عجز الأول مع معجم عجز الثانى (٢٠) معجم عجز الأول مع مهمل عجز الثانى (٢١) مهمل صدر الأول مع مهمل عجز الثانى (٢٢) معجم صدر الأول مع معجم عجز الثانى (٢٣) مهمل صدر الأول مع معجم عجز الثانى (٢٤) معجم صدر الأول مع مهمل عجز الثانى (٢٥) مهمل عجز الأول مع مهمل صدر الثانى (٢٦) معجم عجز الأول مع معجم صدر الثانى (٢٧) مهمل عجز الأول مع معجم صدر الثانى (٢٨) معجم عجز الأول مع مهمل صدر الثانى

فجعل كل شطر برمته تاريخا ، والحروف المعجمة من كل شطرين تاريخا ، ومثلها الحروف المهملة ؛ فيتجمع من ذلك ستة عشر تاريخا ، وكذلك المعجمة مع المهملة ، والمهملة مع المعجمة ، فيتجمع اثناعشر تاريخا . فيكون المجموع ثمانية وعشرين تاريخا..

ونحن نكتفى بهذا القدر من هذا البحث، وعن هذا الشاعر، لقلة المصادر الموجودة لدينا عنه ، وقلة من كتب عنه ، وأظن فى بحثنا هذا الكفاية بعض الشيء عن هذا البحث وعن هذا الشاعر، وأخذ الفكرة عنه ، ومن الله نستمد المعونة والتوفيق

العمارة — العراق فليل رشيد

(٢) عن المجموع الرائق المخطوط . لبحر العلوم :

تركيا ـ ٢

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

« حققوا للشعوب حرياتها فان قلوب الأحرار خير حصن ضد الطغيان والاستبداد والاستعمار » غلادستون

موطن نزال

تشغل تركيا مكانا يمتاز بأهمية موقعه الدولى.. فهى تضع قدما فى آسيا وتضع قدمها الأخرى فى أوربا وتتحكم فى الملاحة بين البحرين الأبيض والأسود

وقد كانت أرضها ميدان النزال بين الفرس واليونان فى التاريخ القديم، وموطن الصراع بين المسلمين والروم فى العصور الوسطى، وكانت طريق الصليبيين إلى الشرق أثناء الحروب الصليبية، وهى الحروب التى شنها الغرب على الشرق وانتهت بانتصار الشرق وخذلان الغرب

وفى العصور الحديثة كانت تركيا وما تزال ميدان صراع دولى عرف فى التاريخ باسم المسألة الشرقية

المسألة الشرقية

فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى نزل الأتراك العثمانيون فى آسيا الصغرى وأسسوا دولتهم التى بدأت صغيرة ثم أخذت تنمو وتتسع حتى شملت آسيا الصغرى، ثم عبروا البحر إلى أوربا ونزلوا بشبه جزيرة البلقان واستولوا على القسطنطينية عام ١٤٥٣ واتخذوها عاصمة لدولتهم الكبيرة

واستمر الأتراك فى فتوحاتهم ففتحوا بلاد الشام والعراق وفلسطين وبلاد العرب ومصر وشمال أفريقيا؛ وفى أوربا استمر جندهم فى فتحهم حتى قرعوا أبواب مدينة فينا عاصمة الإمبراطورية النمسوية

فى ذلك الوقت لم تكن هناك مسألة شرقية وإنما كان يوجد ما يمكن أن يسمى بالمسألة الغربية . ما هو مصير غرب أوربا أمام الزحف التركى وما الذى سيؤول إليه أمر غرب أوربا فى حاله استمرار انتصار الأتراك ؟؟

لكن الأتراك ردوا عن فينا ثم مالبثوا أن استقروا فى البلاد الشاسعة التى فتحوها وأصابهم الترف ونزل بهم الوهن وتجلى ضعفهم شديدا شنيعا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين وظهرت المسألة الشرقية واتخذت مكانا بارزا فى التاريخ الحديث

وكانت روسيا أكبر عدو لتركيا : ذلك أن روسيا نهضت على يد بطرس الأكبر وبدأت تحتل مكانا بارزا فى التاريخ منذ أوائل القرن الثامن عشر . وكانت روسيا تريد الوصول إلى البحرين الأسود والأبيض وكان هذا لايتأتى إلا على حساب تركيا ، ومن أجل هذا قامت الحروب بين الدولتين ووضعت روسيا يدها على شواطئ البحر الأسود الشمالية والشرقية

لكن روسيا كانت ترنو دائما إلى الوصول إلى القسطنطينية وهذا هو محور سياستها، ويتجلى لنا واضحا جليا فى جميع حوادث التاريخ منذ القرن الثامن عشر حتى اليوم

وقد ساعد روسيا على تنفيذ سياستها أن تركيا لم تعمل على إدماج رعايا البلقان فى رعاياها ؛ بل تركت لهم حريتهم الدينية وحكومتهم الذاتية ولغتهم القومية واكتفت منهم بما قدموا لها من جزية وضرائب

واستغلت روسيا الروابط الدينية والجنسية التى تربطها بسكان البلقان، وعملت دائما على خلق المتاعب فى وجه السلطان، وسارعت إلى نصرة الثائرين بقواتها وأملت على تركيا شروط الصلح لفائدتها

وكانت النمسا العدوة الثانية لتركيا، فقد اقتطع الأتراك جانبا كبيرا من أملاكها فى البلقان وفى الدانوب ، ولما ضعفت تركيا عملت النمسا على استرداد ممتلكاتها ونجحت فى ذلك إلى حد كبير فى القرن الثامن عشر

أما فرنسا — وكانت عدوة للنمسا — فقد أقامت علاقات ودية مع تركيا منذ القرن السادس عشر

ولكن إنجلترا فى القرن الثامن عشر كانت تجد فى روسيا حليفا طبيعيا ؛ فقد كانت روسيا سوقا هامة للتجارة الإنجليزية ؛ وكانت إنجلترا ترى أنها بحاجة إلى صديق وحليف ليعاونها ضد عدوتها التقليدية إذ ذاك وهى فرنسا

لكن حملة نابليون على مصر نبهت إنجلترا إلى الخطر المحدق

بها من جراء مطامع روسيا، فقد كانت روسيا تطمع فى الاستيلاء على القسطنطينية والوصول إلى البحر الأبيض وكان ذلك خطرا يهدد مصالح إنجلترا فى الشرق . ثم إن الروسيا كانت تستطيع الوصول برا إلى الهند

وهكذا وجدت إنجلترا فى مطامع روسيا خطرا عليها ومن ثم وقفت بجانب تركيا وأخذت تعمل على المحافظة عليها ولكنها لم تر بأسا من اقتطاع كثير من أملاكها فى الوقت المناسب

ويتجلى اهتمام إنجلترا بمصير تركيا فى وقوفها بجانبها هى وفرنسا أثناء حرب القرم ١٨٥٣ — ١٨٥٦ وهى الحرب التى شنتها روسيا على تركيا وانتهت بانتصار إنجلترا وفرنسا وتركيا عليها وكان سببها مطامع روسيا فى تركيا

فى ١٨٤٤ زار قيصر روسيا نقولا الأول إنجلترا وتحدث مع لورد أبردين وزير خارجيتها حديثا عبر به عن سياسة روسيا إزاء تركيا : «إن تركيا رجل مريض يحتضر ويخشى أن يموت فجأة وحينئذ يحدث خلاف بين الدول حول تقسيم تركيا ولذلك فمن الأجدر أن تتخذ الدولتان إنجلترا وروسيا الأهبة لمواجهة الموقف وخير لهما أن يتفقا على تقسيم لإملاك تركيا » وقد كرر القيصر حديثه هذا مرة أخرى مع سفير بريطانيا فى روسيا ١٨٥٣ وكان ذلك من أهم الأسباب التى دعت إنجلترا إلى الدخول فى حرب القرم ضد روسيا ، فقد كان بلمرستون رئيس وزراء إنجلترا يؤمن بأن مايقال كل يوم من أن تركيا رجل مريض يحتضر كلام فارغ لا يؤبه له ؛ وأنها لو أعطيت وقتا كافيا بدون قلاقل أو متاعب لاستطاعت أن تصلح من شأنها وأن تستعيد مجدها كدولة قوية لها وزنها فى السياسة الدولية

وفى معاهدة باريس ١٨٥٦ أعطيت تركيا الفرصة اللائقة وحرم على روسيا أن تنشئ قواعد حربية على شواطئ البحر الأسود إذ أن يكون لها فيه أسطول حربى وأعلن حياد البحر الأسود

لكن تركيا لم تقم بالإصلاح المطلوب ولم تنزل شعوب البلقان عن مطالبها القومية فقد كانت تريد الاستقلال عن تركيا . وكانت الدول تخشى أنه فى حالة استقلال هذه الدول : رومانيا والصرب والجبل الأسود وبلغاريا.. أن تقع فى يد روسيا

ولكن غلادستون زعيم الأحرار فى إنجلترا صرح قائلا : « حققوا للشعوب حرياتها فإن قلوب الأحرار خير حصن ضد الطغيان والاستبداد والاستعمار »

وفى ١٨٧٦ ثارت شعوب البلقان ضد تركيا وتقدمت روسيا لمساعدتها وهزمت تركيا ووقف الجند الروس أمام القسطنطينية.. وهنا تقدمت إنجلترا وأمرت أسطولها بدخول مياه البسفور ومقاومة الروس إذا دخلوا القسطنطينية، وأمام تهديد إنجلترا وقفت روسيا ووقعت مع السلطان معاهدة سان ستفانو ١٨٧٨ . لكن إنجلترا لم توافق عليها ودعت الدول إلى عقد مؤتمر دولى لبحث المشكلة ؛ وقد اجتمع المؤتمر فى برلين فى يوليو ١٨٧٨ ووقعت الدول معاهدة برلين وبها تحقق استقلال رومانيا والجبل الأسود والصرب وأعطيت بلغاريا حكومة ذاتية وأخذت روسيا قارص وباطوم واستولت إنجلترا على جزيرة قبرص وبعدها بسنوات احتلت مصر . وتحقق لإنجلترا ما تبغيه من إبعاد روسيا عن القسطنطينية

وتتجلى أهمية القسطنطينية فى نظر روسيا فى الحديث الذى دار بين القيصر إسكندر الأول ونابليون الأكبر إمبراطور فرنسا، وكان نابليون يطمع فى صداقة القيصر ليتمكن من هزيمة عدوته اللدودة إنجلترا

قال القيصر « القسطنطينية هى مفتاح بيتى ويجب أن يكون فى حوزتى »

فرد نابليون « القسطنطينية ! من المستحيل.. إن هذا معناه تكوين إمبراطورية عالمية »

وهكذا لم يستطع القيصر والإمبراطور الاتفاق بشأن القسطنطينية، وكان ذلك من أهم أسباب اختلافهما وانضمام روسيا إلى إنجلترا ضد نابليون مما كان له أكبر الأثر فى القضاء على نابليون . وهكذا نرى أن المسألة الشرقية كانت عاملا كبيرا فى سقوط نابليون وفى تحويل مجرى التاريخ

وفى ١٩٣٩ عقدت روسيا مع هتلر ميثاق عدم اعتداء مما كان له أكبر الأثر فى نشوب الحرب العالمية الثانية ، وفى اعتقادى أنه لولا هذا الميثاق لما نشبت الحرب

اطمأن هتلر إلى روسيا وقام يحارب ، وأحرز جنده النصر

شــلر

للكاتب الكبير توماس كارليل

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

— ٥ —

فى تصويرنا لشلر كإنسان له أخلاقه الرفيعة ، لا يمكن لوصفنا — على أى حال — إلا أن ينتقص من كمال حيـاته ، لأن أقلامنا تعجز عن وصفها الوصف اللائق بها . لقد نال هذا الرجل ما يأمله بصورة عجيبة . وحياته — على الأقل — من مرحلة رجولته لم تزل حتى الآن غير مشوشة وذات أسـلوب واضح . وقد أخفى انتصاره الـكامل عنا عظم النضال الذى خاضه ببسـالة نادرة . يمكننا — إجمالا — الاعتراف بأن سلوكه لم يكن عظيما بمقدار قداسته وربما لا يصفه شئ مثل وصفنا إياه بالراهب ، بما يمتاز به اللقب من سمو روحى ونقاء وعزلة ، على أن هذا الوصف لا ينطبق على مظهره الخارجى فى شئ . لقد استحوذ على طبيعته حماس منقطع النظير وفى هذا تكمن قوته وفى هنا يتضح الواجب الذى عاهد نفسه على أدائه ، وقد عاش فى سبيل هذا

لم تقم الميول الاجتماعية بأى دور فعال فى حياته ، وكان زوج وأب فهو دائما حنون ومخلص ولطيف ولـكن نادرا ما كانت تؤثر فيه الأشـياء الخارجية تأثيرا يشبه فى شئ العاطفة العارمة . فهو لم يمتلك من الحرارة والحب المستعر والتحبب مثلا ما كان يمتاز به معاصره الاسكوتلندى (برنز) ، وفى الحقيقة فإن اتجاهه وأمله كانا مصوبين نحو المثل الأعلى لا لمـا هو واقعى أرضى . وكانت سعادته العظمى لا تعنى فى شئ بالشرف الظاهرى أو الأبهة أو اللهو أو التسلية الاجتماعية أو حتى الصداقة نفسها .. بل كان همه الأكبر منحصرا فى مملكة الشعر ومدينة العقل الفضلى حيث الحياة النبيلة الحقة . وكذا الحال مع عاداته فإنها كانت أميل إلى العزلة لأن شغله الشاغل وسروره البـالغ لم يتعديا نطاق التأمل الصامت ، يقول أحد شراحه : (إن عـدم تساهله مع الذين يقاطعونه ويعيقون أعمـاله هو الذى اضطره إلى اللجوء إلى الدراسة ليلا ، على ما فى هذا العمل المؤذى من إغراء ومن تعب . وقد شرع بهذه الممارسة فى (درسدن) ولم يتركها قطعاً بعد ذلك . وقد كانت تسليته الوحيدة هى العزلة ، فكانت سواحل نهر (الإيلب) ملجأه المحبب صباحاً ، وكان هناك يتجول فى وحدته بين الـكروم والمروج والخمايل الجميلة تاركا ذهنه يسرح فى الخيـال المذهب ، أو متأملا فى مواضع الفتنة من الطبيعة السـاحرة أو منغمساً فى دراساته التى كانت تشغله دائما وأبداً ، أو كان يرى جالساً فى بعض الأحيان فى الجندول الطافى على صفحة النهر الناعمة ، وكان يسره كثيراً أن يكون هناك عندما كانت العواصف تهدر والرياح تزمجر حتى يجد لنفسه المضطربة راحة فى اضطراب الطبيعة ! وكان الخطر يمير شيئاً من السحر لوضعيته ، وكان يشعر بالانسجام التام بالمنظر الثائر ، عندما كانت العاصفة تجتاح السماء ، وكانت الغابات تردد صوت هذا الاجتياح ، كما أن النهر كان يشارك السماء فى هذه الثورة الجامحة فيهتز ملتويا بتأثيرها ، وترتطم أمواجه بعضها بالبعض الآخر فتحدث ضجيجا هائلا . وفى هذه الأثناء اشترى له حديقة فى ضواحى (ينا) بالقرب من دار (ويسلهوفت) التى كانت مركز إدارة مجـلة (الـكيانيه ليتراتور زايتنغ) وهى المجلة الذائعة الصيت فى ذلك الوقت ، وإذا

فى كل مكان ، وسرعان ما سجدت أوربا تحت أقدامه واحتل البلقان ، وهنا تقدمت روسيا تطلب أن تعطى ميناء على البحر الأبيض ، ولـكن هتلر رفض ، فانضمت روسيا إلى إنجلترا ، وكانت الدولة الأوربية الوحيدة التى بقيت صامدة أمام هتلر وإلى أمريكا . وكان انضمام روسيا إلى إنجلترا وأمريكا أكبر أسباب هزيمة هتلر وسقوط دولته

وانتهت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ ، وانقسم حلفاء الأمس إلى كتلتين متعاديتين : إحداهما شرقية وهى روسيا ، والأخرى غربية وتضم إنجلترا وأمريكا وفرنسا

ومن الطبيعى أن تنضم تركيا إلى الدول الغربية ، فهى تعلم أن روسيا لم ولن تتخلى عن مطامعها فى أراضيها ، ولعل فى انضمامها إلى المعسكر الغربى ما يحفظ كيانها ويبقى على سلامتها

أبو الفتوح عطيفة

نظرنا إلى المكان فى سوق (ينا) فهو يقع فى الجنوب الغربى من المدينة بين (انكليكاتر) و (وينوتور) فى الممر الضيق حيث يجرى فرع من نهر (لوترباخ) حول المدينة

بنى شلر بيتاً من طابق واحد فى قمة المرتفع الذى يشرف على منظر غاية فى الجمال فى وادى (ســال) بما يحيط به من غابات الشربين . وكان هذا المكان مسكنه الحبيب إليه أثناء ساعات كتابته؛ وأكثر مؤلفاته التى دبجها يراعه فى ذلك الوقت كتبت هنا . وكذلك الحال فى الشتاء فإنه كان يعيش بعيداً عن ضجيج الناس وجلبتهم وذلك فى دار آل (كرســباغ) خارج خندق المدينة . وكان عند جلوسه بالقرب من المنضدة يحتفظ دائماً بقهوته الجاهزة أو الشوكولاته ، وغالباً ما كان يقتنى قنينة من شراب الراين أو الشامبانيا لينعش نفسه المتعبة ، وكثيراً ما كان الجيران يسمعونه وهو ينشد بعض الأناشيد العذبة فى هدأة الليل . وكل من استغل فرصة مراقبته فى مثل هذه الأحوال — وكان ذلك فى غاية البساطة — بسبب المرتفعات الواقعة مقابل حديقته من الجانب الآخر من الوادى — كان يمكن أن يراه متكلماً مرة بصوت عال أو ماشياً بسرعة جيئة وذهاباً فى غرفته أو رامياً نفسه على كرسيه ليكتب ثم يراه يقف ليشرب من القنينة التى بجانبه . وكان يظل بجانب منضدته شتاء إلى الساعة الرابعة أو حتى الخامسة صباحاً ، أما فى الصيف فكان يسهر إلى الثالثة فقط . ومن ثم يذهب إلى الفراش ليستيقظ فى التاسعة أو العاشرة

ويقول الشارح مستطرداً «وكانت حياته فى وايمر تشبه حياته السالفة فى ينا » وكان شغله الشاغل هو الدراسة والكتابة . وكان يتسلى فى محيط عائلته ، حيث كان يترك لنفسه حرية التمتع بمسرات الحياة ومباهجها بصراحة مع قليل من أصدقائه الخلص . وقد جمع هؤلاء الأصدقاء فى ناد وجعل من هـذا النادى مكاناً للمتعة والتسلية البريئتين . وكان مع ذلك يحب النزهة المنفردة فى متنزهات وايمر وكان يرى غالباً متجولاً بين الخمائل والأروقة المرمرية البديعة ، وبيده دفتر ملاحظات وهو يسير ببطء أو يقف هادئاً متأملاً ، وأما إذا رأى أحداً فيمرق مسرعاً إلى طريق آخر لئلا تنقطع سلسلة أحلامه وتأملاته ، وكان ملجأه المحبوب هو الطريق الصخرى الكثيف الظلال المؤدى إلى بيت (رومش) وكان هذا البيت محل نزهة الدوق وقد بنى بإرشاد جوته ، وكان يجلس هناك بجانب الصخور الشامخة المظللة بأشجار السرو والبقس وأمامه الأيك المشوشبة على مقربة من جدول صغير يتدفق ماؤه فى قناة مبلطة ملساء ، حيث توجد بعض أشعار جوته منحوتة على لوح أسمر من الحجر مثبت فى الصخر [1] . ولو أن هذه العزلة قللت من أهمية سلوكه الشخصى إلا أنها دلت على فضيلة كبرى من فضائله ، ألا وهى التجرد من ترهات الحياة وابتعاده من مباذلها ، فالإنسان لا يولد إلا ويجد أمامه مجالا من الرغبات العالية الطموحة ، ولا يكون الانتصار عليها كاملا خصوصاً لإنسان مثل شلر . فوجد أن واجبه يقتضيه أن يساير مثل ذلك المسلك من الحياة، أعنى بذلك مسلك العزلة ، وقد جاهد بكل ما يملك من قوة وبأس على تأدية مثل هذا الواجب على أحسن صورة بعد أن اكتشفه لنفسه ، ولم يكن مصدر هذه العزلة ابتعاده عن مصالح الناس بل لاهتمامه بهم ، ويمكننا من بعض الإشارات والعلامات أن ندرك بأن واجب الشاعر بالنسبة لشلر فيما يخص الإنسانية هو أعظم قدراً وأكبر قيمة وأعلى دلالة من واجبه الشخصى تجاه نفسه ، ومع ذلك ، فقد تبين لديه بأنه كان يرمى (بمواهبه فى الماء لينتظرها فى وقت آخر) . وعندما تضمحل ضوضاء الغزاة والمشعوذين والمصلحين السياسيين تظهر الحكمة العلوية التى كانت كامنة فيه وتبقى بين الناس ليعترف بفضلها وتقدر قيمتها حق قدرها ، وعليه ولو أنه مات إلا روحه الخالدة لا تزال حية طافحة بالقوة والجلال . وقد حدثنا الكثيرون عنه فقالوا (إنه كان رقيقاً شفافاً بشوشاً عطوفاً لأقصى درجة ، ولم تستحوذ عليه رغبة أشد من رغبة إسعاد الناس أجمعين) ولم يكن فى إمكان أى شخص آخر أن يتحمل ما تحمله شلر فى سبيل أداء واجبه ، فقد كان هذا الواجب أغنيته فى المساء وصلاته فى الصباح .. لقد عاش ومات فى سبيله مضحياً — كما يقول جوته — بحياته فى سبيل تصوير الحياة

الكلام صلة

يوسف عبد المسيح ثروت

(١) حياة شلر

ديوان مجد الاسلام

نظم الشاعر المرحوم أحمد محرم

وتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

تابع غزوة بدر

نصح الرجال فردهم عن نصحه ... نشوان علاه الغرور فيطفح (١)
رب اسقه بيد (النبي) منية ... بمذايك الأوفى تشاب وتجدح (٢)
إيه (أباجهل) نصرت بفارس (٣) ... يلقى المنية منه أغلب شيح (٤)

(١) هو أبو جهل ، بعث عتبة إليه حكيم بن حزام يبلغه رأيه ، فغضب ، وأفسد على الناس نصحه قائلا : انه يخاف على ابنه (يعنى أبا حذيفة) فإنه كان مع النبي ، وبعث الى عامر بن الحضرمي يقول : هذا حليفك عتبة يريد الرجوع بالناس ، فاطلب أنت بدم أخيك ، فجاء عامر وكشف عن دبره وحثا التراب على رأسه وصرخ : واعمراه ! واعمراه . فثارت النفوس ، وأخفق السعى .

رآى النبي عتبة ، وهو يطوف على جمله ينصح الناس ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن يكن فى أحد من القوم خير ، فنى صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يرشدوا

كانت سرية عبد الله بن جحش المذكورة آنفا فى آخر يوم من رجب ، وقيل فى أول يوم من شعبان على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة ، وكان رضى الله عنه من السابقين إلى الإسلام ، قال سعد بن أبى وقاص : بعثنا صلى الله عليه وسلم فى سرية وقال : لأبعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش ، فبعث علينا عبد الله بن جحش ، وسماه أمير المؤمنين ، فهو أول من حمل هذا اللقب ، وموضع هذه الغزوة نخلة (بين مكة والطائف) قتل المسلمون فيها وأسروا ، واستاقوا عير قريش تحمل الزبيب والجلود للتجارة ، فكانت أول غنيمة فى الإسلام ، وكان القتل أول قتل فى نصرة الإسلام ، وذلك لما فعله كرز بن جابر الفهرى ، وقال النبي عند رجوع السرية : ماأمرتكم بقتال فى الشهر الحرام — وتحدث كفار قريش بذلك فأنزل الله (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به ، والمسجد الحرام وأخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أشد من القتل) — وفى ذلك يقول عبد الله بن جحش :—

تعدون قتلا فى الحرام عظيمة ... وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول (محمد) . وكفر به ، والله راء وشاهد
وأخرجكم من مسجد الله أهله ... لئلا يرى لله فى البيت ساجد

كان المسلمون ثمانية رجال ، وقيل اثنى عشر فى هذه الغزوة

(٢) تجدح بمعنى تخلط

(٣) هو الأسود المخزومى بن عبد الأسد كان شرسا سيء الخلق ، قال ، أعاهد الله لأشربن من حوضهم (المسلمين) أو لأهدمنه ، أو لأموتن دونه ، ثم أقبل ، فضربه حمزة بن عبد المطلب فوقع صريعا ، ولكنه زحف الى الحوض ليصدق فى يمينه فقتله حمزة فى الحوض ، وهو أول =

أرداه (حمزة) عند حوض (محمد) ... فانظر أتقدم أم تحيد وتكفح (٥)
رام الورود ، فما انثنى حتى ارتوى ... من حوض مهجته المنايا القمح (٦)
جد البلاء ، وهب إعصار الردى ... يرمى بأبطال الوغى ويطوح
نظر (النبي) فضج يدعو ربه ... لاهم نصرك ، إننا لك نكدح
تلك العصابة ، ما لدينك غيرها ... إن شد عاد (٧) أو أغار مجلح (٨)
لولا تقيم بناءه وتحوطه ... لعفا كما تعفو الطلول وتمصح (٩)
لا هم أن تهلك ، فما لك عابد ... يغدو على الغبراء ، أو يتروح (١٠)
جاشت حميته ، وقام خليله (١١) ... دون العريش يذود عنه وينضح (١٢)
وتنولت (١٣) صدر القتال فأقبلا ... والأرض من حوليهما تترجح (١٤)
فى غمرة ضمن الحفاظ لقاحها ... فالحرب تسدح بالكماة وتردح (١٥)
استبق نفسك يا (أبا بكر) وقف ... أن ضج من دمك الزكى مصيح (١٦)
أعرض عن ابنك إن موتك الذى ... حمل الحياة إلى الشعوب لترح (١٧)

= قتيل من المشركين فى بدر ، قيل إنه أول من يأخذ كتابه بشماله ، وإن أخاه عبد الله المخزومى زوج أم سلمة رضي الله عنهما ، أول من يأخذ كتابه بيمينه

(٤) الشيح المقاتل ، والجاد فى الأمر

(٥) كفح بمعنى جبن

(٦) يقال إبل قمح أى رافعة الرؤوس غاضة العيون ، وهذا إذا ارتوت من الماء

(٧) شد عليه حمل

(٨) جلح على الشىء أقدم عليه ، وصمم ، والسبع على القوم حمل عليهم

(٩) مصحت الدار اندرست وامحى أثرها

(١٠) تروح سار فى الرواح ، أى العشى ، وفى البيت والثلاثة التى قبله اشارة الى قول النبي لما اشتد الأمر على المسلمين (اللهم انى أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم أن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد ، وقيل فى الأرض)

(١١) أبو بكر الصديق رضى الله عنه

(١٢) توسل سعد بن معاذ الى النبي أن يبنى له عريشا على تل يشرف منه على المعركة فقبل ، وكان معه فى العريش أبو بكر متأهبا شاهرا سيفه ، فلما التحم القتال جاء سعد بن معاذ وجماعة من الأنصار فوقفوا أمام العريش بسيوفهم — وينضح يدافع

(١٣) تلونت

(١٤) تهتز أو تتذبذب

(١٥) يقال سدحت المرأة وردحت إذا أكثرت من النسل ، ونبتت

(١٦) كان عبد الرحمن بن أبى بكر فى صفوف المشركين فطلب المبارزة وكان شجاعا فاتكا ، فأراد الصديق أن يبارزه ، فمنعه الرسول الكريم وقال : متعنا بنفسك يا أبا بكر ، أما علمت أنك منى بمنزلة سمعى وبصرى (أسلم عبد الرحمن فى هدنة الحديبية ، وأسلم أبو قحافة عام الفتح الأعظم رضى الله عنهما

(١٧) الترح الحزن

صلى عليه الله حـين يقولها   والحرب تعصف والفوارس تكلح

الله ، لا ولد أحب ولا أب   منه ، فأين المتآى والمترح؟[18]

أفما رأيت (أبا عبيدة) ثائراً   وأبوه فى يده يتل ويـطرح؟[19]

بطل تخطر ، أم تخطر مصعب[20]

سلب القرا[21] ضخم السنام مكبح ؟[22]

أرأيت إذ هزم (النبى) جموعهم   فكأنما هزم البغاث المضرح[23]

هى حفنة للمشركين من الحصى   خف الوقور لها وطاش المرجح[24]

مثل الثميلة[25] من مجاجة نافث   وكأنما هى صيب يتبدح[26]

الله أرسل فى السحاب كتيبة   تهفو كما هفت البروق اللمح[27]

تهوى بجلجلة[28] تلهب أعين   منها وتقذف بالمواصف أجنح[29]

(١٨) المتآى محل البعد ، والمترح مفعل من نزح اذا بعد

(١٩) أبو عبيدة بن الجراح حمل عليه أبوه ، وكان من المشركين ليقتله ، فأعرض عنه وفيه أنزلت (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم او اخوانهم أو عشيرتهم) الآية ويتل يصرع

(٢٠) المصعب الفحل ، ومن الجمال مالم يركب ولم يمسه حبل

(٢١) شديد الظهر

(٢٢) مكبح شامخ والبيت فى صفة أبى عبيدة

(٢٣) البغاث ضعاف الطير ، والمضرح الصقر الطويل الذيل

(٢٤) أخـذ النبى صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصى ورمى بهـا المشركين ، فلم يبق رجل منهم إلا امتلأت عينه فانهزموا (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وقاتل هو وأبو بكر قتالا شديدا فلما انهزموا جعل معهم شاهرا سيفه وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر) والمرجح الحليم

(٢٥) الثميلة البقية

(٢٦) تبدح السحاب مطر

(٢٧) البيت وما بعده فى نزول الملائكة لما التحم القتال وعج النبى والمسلمون بالدعاء ونزلت الملائكة (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) واستيقظ صلى الله عليه وسلم من نومه فقال وهو يبتسم : أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل على ثناياه النقع ، وعن الإمام على قال : هبت ريح شديدة يوم بدر ، ما رأيت مثلها قط ، ثم جاءت أخرى كذلك ، ثم جاءت أخرى كذلك ، فكانت الأولى جبريل ، نزل فى ألف من الملائكة أمام النبى ، وكانت الثانية ميكائيل نزل فى ألف عن يمينه ، وكانت الثالثة إسرافيل ، نزل فى ألف عن ميسرته صلى الله عليه وسلم ، قال رجلان من بنى غفار : رأينا سحابة يوم بدر سمعنا فيها حمحمة الخيل وقائلا يقول : أقدم حيزوم ، فرس جبريل على رواية ، وسحابة اخرى فيها رجال وسلاح

(٢٨) من جلجل السحاب إذا رعد

(٢٩) جمع جناح

للخيل حمحمة تراع لهولها   صيد الفوارس ، والعتاق القرح[30]

(حيزوم[31]) أقدم ، إنما هى كرة   عجلى ، تجاذبك العنان فتمرح

(جبريل) يضرب ، والملائك حوله   صف ترص به الصفوف وترضح[32]

تلك الحصون المائنات بمثلها   تذرى المعاقل والحصون وتذرح[33]

للقوم فى أعناقهم وبنانهم   نار تريك الداء كيف يبرح[34]

جفت جذور الجاهلية ، والقوى   هذا النبات الناضر المسترشح[35]

طفق الثرى من حولها لما ارتوى   من ذوب مهجتها يجف ويلح[36]

ومن الدم المسفوح رجس موبق[37]   ومطهر يلد الحيـــاة ويلقح

يتبع

(٣٠) القارح من الخيل الذى شق نابه وطلع

(٣١) فرس جبريل

(٣٢) تكسر

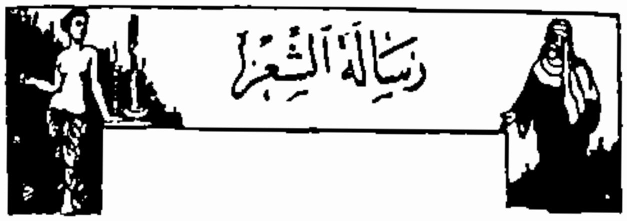
(٣٣) تذرى وتذرح بمعنى

(٣٤) كانت الملائكة تضرب أعناق المشركين وبنانهم (فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان)

(٣٥) استرشح النبات طال

(٣٦) ييبس

(٣٧) مهلك



نشيد

الاتحاد — النظام — العمل

للأستاذ علي متولى صلاح

مصر هذا عهدك الزاهى فسيرى ... لا تبالى أى صعب فى السير
كل صعب صار سهلا لينا ... وغدا كل شديد هينا
فانهضى فى عهدك الزاهى وباهى ... واجعلى كل دعاء فى الشفاه
محق الظلم فشكراً يا إلهى

مصر هبى لاتحاد وعمل ... ونظام ... تبلغى كل الأمل
وكنى يا مصر تفريقا كنى ... وعفا الله عن الماضى عفا
فانهضى فى عهدك الزاهى وباهى ... واجعلى كل دعاء فى الشفاه
محق الظلم فشكرا يا إلهى

أنت يا مصر من الساعة حره ... لن تضامى بعدها يا مصر مره
قد تحررت من القوم الطغاة ... وتجاوزت عهود الظلمات
فانهضى فى عهدك الزاهى وباهى ... واجعلى كل دعاء فى الشفاه
محق الظلم فشكرا يا إلهى

لو دعا الداعى لبذل وفداء ... قسماً أبذل روحى والدماء
أى شئ هو أغلى من بلادى ... هى دارى وعتادى ومهادى
فانهضى فى عهدك الزاهى وباهى ... واجعلى كل دعاء فى الشفاه
محق الظلم فشكرا يا إلهى

علي متولى صلاح

ثورة ضمير

للشاعر محيي الدين فارس

فرغت كأسى . فمن يملأ بالأحلام كأسى
وسجا الكون وثارت من لهيب الشوق نفسى
وطوتنى فى شعاب الليل إطراقة بؤس
وأنا زورق أحلام ، وأشواق ، وعرس !
فى يد الأمواج ، والإعصار كم يضحى ويمسى !

إن أكن أسكرت بالألحان أسماع الوجود
وتغنيت مع الأطيار فى الصبح الوليد
وسكبت الفن لحناً فى مزامير الخلود
فأنا قلب شقى مل من أسر القيود
فى صحارى العمر والنسيان . فى دنيا العبيد !

غربت شمس ولم أبصر سوى ليل توالى
وتلاشى الحلم من أفق خيالاتى وزالا
وأنا فى عالم النسيان أستاف الزوالا
ريشة فى ثورة الأنواء لم تدرك مجالا
لفها الإعصار فى أجنحة الليل وغالا

عذبتنى فى شعاب الوهم ألحان شكاتى
كم يثير الليل أشباح هموم طاغيات !
وخبت شعلة آمالى ، وجفت صبواتى
وتهاوت ... من سماواتى طيور الأمنيات !
لم يعد قلبى خفاقا بأحلام الحياة !

حدقت فى صمتى الخالد أبصار الليالى
وجرت خلف نعوش العمر أسراب ظلال
لم أعد أبصر فى دنياى أطياف الجمال
كل شئ هامد كالموت فى كهف الليالى
كم قصور شدتها للفن من وهم خيالى

واسنى ياليل ، يانبع خيالاتى وشعرى
واسنى ياليل ، هل تدرك مايحمل صدرى
أنا كالبحر شقى عشت فى مد وجزر
أنا طير قصت الدنيا جناحيه بغدر
لست أدرى فيم أبكى . . وأغنى لست أدرى

إن أكن أذنبت فى الدنيا فغفرانك ربى
جئت أبكى بدموعى ناشدا إخفاء ذنبى !
ناسكا فى معبد الإيمان . . هيمان كصب
طهرت نفسى صلاة . . نضرت صحراء قلبى
فارحم اللهم نفسا عذبت فى كل درب !

محيي الدين فارس السودانى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

مهرجان الشعر

دعت اللجنة الثقافية بجمعية الشبان المسيحيين بالقاهرة إلى مهرجان للشعر فى يوم الجيش عقد بدار الجمعية مساء الجمعة ١٧ أكتوبر سنة ١٩٥٢ . وقد قدمه الأستاذ خالد الجرنوسى ، وعقب عليه الأستاذ كامل أبو العينين ، وكانت ضيفة الشرف فيه السيدة أمينة السعيد

إلى هنا ليس لنا اعتراض على أى شئ ؛ غير أن الذى لوحظ أن جميع الشعراء الذين قدموا فى المهرجان كانوا من الأسماء الجديدة . . وكان فى الاستطاعة دعوة شعراء آخرين معروفين للاشتراك فى هذا المهرجان ، ولا ندرى هل المسؤول عن ذلك جمعية الشبان نفسها ، أم الأستاذ خالد الجرنوسى . .

لا اعتراض لنا أيضا على الشعراء الجدد ، فنحن ندعو إلى إعزاز الأدب الجديد ، وفتح المجال أمام أصحابه ليأخذوا مكانهم ليتسابقوا إلى الغاية .. ولكننى أعتقد موقنا أن قصر المجال على طائفة دون طائفة ، لابد أن يكون له سبب يبرره..

لماذا لم نسمع فى هذا المهرجان محمود حسن إسماعيل أو عبد الغنى حسن أو على الجلالطى أو قاسم مظهر أو العوضى الوكيل ، أو على متولى صلاح أو غيرهم وغيرهم

وفى الميدان النسوى . . لماذا اقتصر على الآنسة روحية القلينى ؟ إننى مع الأسف لم أقرأ للآنسة الشاعرة . . وأرجو أن أقرأ لها فى وقت قريب ؛ ولكننى أسأل لماذا لم يدع إلى ندوة الشعر أمثال : جميلة العلايلى أو أمانى فريد ، أو غيرهما من الشاعرات . .

. . وإنى لأتساءل ، لماذا اكتفى الأستاذ خالد الجرنوسى بالإشراف ، ولم يقدم شعره .. ولم يلق قصيدة من قصائده العصماء فى هذه المناسبة !

إن مهرجان الشعر فى يوم الجيش عمل أدبى مشكور ، وهو نافذة من نوافذ الشعور ، أعطت هؤلاء الشعراء الشبان فرصة التعبير عن مشاعرهم فى هذه المناسبات الفذة . .

. . ولكنها كانت تكون أعظم أثرا وأبعد قوة فى محيط الأدب لو أمكن أن تنفذ على نطاق واسع ، وفى جو أكثر استعداداً وأخصب إنتاجا . . وإنا لنرجو أن تعاود جمعية الشبان المسيحية الكرة ، وأن توسع نطاق الدعوة حتى نسمع قصائد أخرى ، وإنا لنرجو أن يشترك فيها شعراء وشاعرات من الأسماء اللامعة المعروفة !

حول تطهير الأدب

أرسل إلى الأستاذ عبد اللطيف فايد الخطاب التالى :

« فى هذه الآونة التى تتنفس فيها البلاد من شر ما جثم على صدرها فى العهود الغابرة ، تمتد يد التطهير المباركة إلى كل مرفق من مرافق الدولة لتغسله من الأدران التى علقت به حتى يغدو نظيفا ، يؤدى واجبه بدقة وأمانة

.. أرى مرفق الأدب قد وضع فى زاوية مهملة ، وقد أغفله الأدباء ولم ينظروا إليه نظرة تعيد شامخ مجده !

وأنت تعلم يا سيدى أن الدخلاء على الأدب كثيرون ، احترفوا الإمساك بالقلم ، وهم لايعرفون كيف يضمونه بين أناملهم ويوجهونه التوجيه الصحيح الذى يرسم العبارات فى استقامة ونضوج ، واتخذوا من بعض الصحف والأوراق الرخيصة ميدانا يعرضون فيه عملتهم الزائفة

وقد راجت هذه العملة فى فترة مابعد الحرب العالمية الثانية.. وأقبل عليها طلاب المدارس والمعاهد والجامعات وكثيرون من أبناء الشعب ، فتغذوا بلبانها ، وأصبحت عمادا لهم فى الإنشاء والتعبير !

وإنك لتجد الحسرة والألم يغمران قلبك ونفسك وكيانك كله حينما تفتش عن روح أدبى بالمعنى القيم فى المحيط التعليمى ! لأنك سوف لا تعثر إلا على أشخاص يصفون الكلمات فى غير تناسق ، ويخلقون عبارات ميتة خالية من الحياة ، مما صير الذوق الفنى فى خطر !

ولولا البقية الباقية من السلف الصالح والشبيبة المتوثبة ممن تفتحت عيونهم وعقولهم ، لأصبحت سوق الأدب فى انهيار تام ألبس من واجب علماء القلم ، وشيوخ الأدب ، وحملة المشاعل ، أن يجعلوا من أنفسهم قوامين على التراث الذى امتدت إليه يد العبث والضياع ! »

***

هذه كلمات تفيض بالإيمان والحماسة ، وتكشف عن روح أدبية خالصة ، نحن ننشدها فى شبابنا الجديد فى العهد الجديد

وها أنت ترى يا صديق أن « الرسالة » تواصل رسالتهـا ، وتحتمل فى سبيلها كل عنت .. وأنت ترى الناس وقـد تحولوا عن الأدب الرفيع إلا قلة من أصحاب الذوق الرفيع ، ومع ذلك فإن « الرسالة » قد أعلنت أنها ستزداد قوة فى الأيام القريبة على أداء رسالتها التى آمن بها صاحبها أصدق إيمان ، وجرد نفسه له خالصا مخلصا لا يبتغى إلا رضوان الله . .

إن الأدب الرفيع سيخلد ويعيش ويبق . . وكل هـذه التفاهات المزخرفة ، والفقاعات الملونة التى تعجب بعض ذوى الأهواء .. ستموت وتتهاوى .. وتذهب أدراج الرياح . . فلا تضيق ياصاحبى إذا لم يعجبك أمر الناس . وإنا لنعتقد وقـد اعتدلت الموازين فى الحياة السياسية والاجتماعية . . أن تعتـدل قريبا موازين الأدب ، وقد غلبتْ نزعة الجد على أمور الحياة ، فلابد أن يستجيب الأدب لها

عود إلى الشعر المنثور

تفضل أخى الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم فأرسل إلى كتابه « فى الضباب » مع كلمة قال فيها « إنه وقف طويلا أمام كلمتى عن الشعر المنثور »

وقد كتب صديق كتابه هذا سنة ١٩٤١ . . أى منـذ اثنى عشر عاما

كان أيامها فى سن الحب والهوى . . تلك السن التى تتفق مع هذا اللون من الأدب ، أما اليوم فإننا نراه وقد تحول عن هـذا اللون

وكل شاب من الأدباء أحب هذا اللون يوما كان السن وكانت العاطفة ، وكانت عوامل متعددة تدفعه إلى أن يقرأه ، أو يعبر عن مشاعره بأسلوبه

.. الضباب .. والظلال . . والأضواء الخافتة . . تلك هى مظاهر الحياة فى سن الشباب ، وهى مظاهر الأدب أيضا ، وفى هذا المعنى اقرأ للأستاذ إبراهيم فى كتابه :

.. وفى عينيك رأيت الأسى والمرح

.. ورأيت اليأس والأمل

.. ورأيت الحيرة والاطمئنان

هذه صورة النفس فى سن الشباب الباكر ، عندما تتراءى الصور ولا تثبت ، وتتبدى الأحلام كالخيال البعيد !

إن رأيى يا سيد إبراهيم فى الشعر المنثور ، هو أننا فى عصر نهضة .. عصر بناء .. عصر الأعمال الضخمة . . عصر الجـد الجاد ؛ كل منا يستطيع أن يحمل حجرا كبيرا ليتضمه فى هـذا البناء الضخم

أما الشعر المنثور فإنه لون من ألوان (الطرافة) يأتى بعد الجد الصارم ، ومن ألوان (الترف) يأتى بعد الحاجة الماسة ، ومن فنون « المتعة » يأتى بعد المتعة الفردية

فأنا لا أحب أن نعود إليه ونحن على أبواب حياة جديدة .

وما أقوله عن مصر أقوله عن سوريا ولبنان وبلاد النهضة جميعا

هذا فضلا عن أننى عرضت لشعر شاعرة .. أنثى ! إن من حقها أن تصور مشاعرها ، ولكن ليس من حقها أن تطلعنا على صفحة مثيرة .. ما أحراها أن تكون صفحة خاصة بهـا ، إن شاءت أن تنظر لها من حين إلى حين

إن الأدب اليوم لا يؤمن بمذهب الفن للفن .. ذلك هوس كان يقول به بعض ذوى الشذوذ من الكتاب.. وكانوا يصدرون فى هذا الرأى عن هوى صارخ . فما أحرانا وقـد أخذت أوربا اليوم تعيد النظر فى مذاهبها الأدبية ، وفى قواعد الحضارة ذاتها أن ننكر ما يتنافى مع طابعنا فى الشرق .. ولاسيما فى أدب المرأة

إن أوربا اليوم لم تعد تؤمن بمبدإ الفن للفن ، ولن تجد كاتبا واحدا يوافق عليه إلا إذا كان من أنصار سارتر ! وهو من هو فى عالم الفاحشة والضلال ، وإنى لأشكر لأخى الأديب هديته ، وآمنى أن أقرأ له كثيرا .. فى غير مجال الشعر المنثور

أنور الجندى

البريد الأدبي

حديث لا يستدل به

يقول الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين (الأهرام ٢٧ / ١٠ / ١٩٥٢) : « فى سنن أبى داود من حديث عائشة أن أختها أسماء دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق ، فأعرض عنها وقال : يا أسماء إذا بلغت المرأة المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا . وأشار إلى وجهه وكفه »

قال الحافظ المنذرى : هذا حديث منقطع وخالد بن دريك لم يدرك عائشة . وقال القرطبى : فيه انقطاع . وقال الكوثرى : فى سنده سعيد بن بشر وهو ضعيف ، وفيه أيضا عنعنة بعض المدلسين . ولو صح لكان ترك عائشة العمل به علة قادحة تمنع من الأخذ به عند جمهور السلف ، لأنه صح عنها تفسير (الأدناء) فى الآية الكريمة ، بإبداء عين واحدة وستر سائر الوجه ، كما صح مثل ذلك عن ابن مسعود وابن عباس وعبيدة السلمانى — وارث علوم على بن أبى طالب وابن مسعود ، والذى كان يخضع لعلمه وفهمه مثل القاضى شريح الذى استمر على قضاء الكوفة ستين سنة من عهد عمر — رضى الله عنهم . . وبقول عبيدة هذا أخذ جمهور السلف

واحتج الأستاذ الأكبر بحديث فى تفسير ابن جرير . وليس كل خبر فى تفسير الطبرى بصحيح . فمن المقرر أن المؤلفين السالفين إذا رووا خبرا وذكروا رجاله سقطت التبعة عنهم بذكر رواته . وعلى العلماء نقد رجاله والاحتجاج به إذا سلموا من الجرح، وطرحه ومنع الأخذ به إذا لم يسلموا من ذلك

محمد محمد الحيدري

جاوب والجيش العربى وحرب فلسطين

اطلعت على كلمة الأستاذ الفاضل عبد القادر رشيد الناصرى المنشورة فى البريد الأدبى عدد ١٠٠٥ من الرسالة الغراء ، وبما أنى أعتبر نفسى من جنود العرب الأحرار الذين شهد معركة فلسطين واطلعوا على مؤامرات جاوب ، فإننى أرى من واجبى أن ألبى نداء الأستاذ الناصرى وأعلق على كلمته بالكلمة التالية :

دأب الجنرال جاوب على الإدلاء بتصريحات عسكرية إلى المراسلين الأجانب فقط ، وذلك لتضليل الرأى العالمى وطمس الحقيقة عن أعين الغرب . ولطالما زعم وافترى أن الجيش العربى كان قليل العدد ضعيف العدة ، مع أن الجيش كان عشرة آلاف مقاتل ، يملكون من الأسلحة والذخائر ما يزيد على ما كان بحيازة الجيش اليهودى بأسره . والجنرال جاوب كقطب كبير من أقطاب الاستعمار فى العالم العربى لا يجرؤ على ذكر العوامل التى دفعته إلى رفع علم الهجوم والسير فى طليعة الجيش العربى عندما زحف على الرطبة وبغداد وطعن الجيش العراقى من الخلف عام ١٩٤١ ، فى حين أنه قبع فى قيادته بعمان وأحجم حتى عن زيارة جبهات القتال فى معركة فلسطين إلا بعد انتهاء الحرب وتوقيع الهدنة المشؤومة ، ثم لا نسمع منه أبدا أى تعليق على الخسائر التى منى بها الجيش العربى الذى — بحسب ادعائه — تحمل العبء وحده ، مع أن الحقيقة الثابتة أن ٦٠ ٪ من خسائر الجيش العربى وقعت فى منطقة القدس التى كان لى شرف إدارة الحرب فيها بكتيبة واحدة بغير إرادة جاوب ، مما أدى إلى انتصارنا على اليهود وحماية المقدسات الإسلامية والمسيحية ، فى حين أن بقية كتائب الجيش كلها لم تخسر سوى ٤٠ ٪ من الإصابات ، والسبب واضح جلى ، وهو أن قادتها كانوا من الضباط الإنجليز الذين نفذوا أوامر جاوب ولم يشتركوا بكتائبهم فى حرب جدية فى أية معركة

أما المدفعية التى يتحدث عنها جاوب فى تصريحه ، فقد كانت قوية فعالة فى الجيش العربى ، ولم يكن لدى اليهود مدفع واحد حتى وقوع الهدنة الأولى ؛ غير أن هذه المدفعية كانت تحت قيادة مساعده (لاش) الذى حال دون اشتراكها معنا فى المعركة لاحتلال المناطق اليهودية من القدس الجديدة ، مما أدى إلى استنجادى باللواء مصطفى راغب قائد الجيش العراقى فى فلسطين فزارنى فى قيادتى بالقدس فى ٨ / ٨ / ١٩٤٨ ، ووعد بتزويدى بالمدفعية اللازمة مع لواء مشاة كامل لاحتلال القدس الجديدة ، ولكنه لم يتمكن — لأسباب سياسية — من تحقيق وعده . .

فاستقال وعاد إلى العراق

ويتناسى جلوب مؤامراته التي كان يدبرها وينفذها (ميجر لوكث) ضد الجيش المصرى فى منطقة بيت لحم والخليل ، وخطته الجهنمية للقضاء على القوات المصرية فى الفالوجة . إن لهــذا القطب الاستعمارى الحق فى أن ينفذ أوامر حكومته الصادرة إليه من لندن ، ولـكن الشئ المجيب حقا أن يخرج فى عمان من يدافع عن جلوب ويحتفظ به سيداً للأردن حتى يومنا هذا ، وأن نجد فى الدول العربية الحرة زعماء يرضون عن الحالة فى عمان ، وخاصة فى الجيش العربى ، بعد كل الذى وقع بسببه من كوارث فى الماضى القريب !

عبد الله التل
حاكم القدس سابقاً

وعود الأمس . . ووعود اليوم

كم من وعود وعدها الفلاح فى ماضى السنين ، ولم يتحقق منها كثير ولا قليل !

كان نوابه يمدونه بمختلف الإصلاحات ، ليظفروا بصوته ، حتى إذا أخذوا مكانهم تحت قبة البرلمان لم يروه .. ولم يراهم !

وكانت الحـكومات المتعاقبة ، والوزارات المتتابعة ، تمده بالـكثير ... فلطالما سمع أن الحـكومة ستعمل على رفع مستوى المعيشة فى القرى ، والنهوض بالفلاح

ولطالما سمع أن الحـكومة ستعمل على تعميم مياه الشرب النقية فى القرى ... وأن الحـكومة ستعمل على تخفيف أعباء الضرائب عن كواهل الفلاحين !

وانقضت السنون والفلاح هو الفلاح .. والقرية هى القرية ! الفلاح هو الفلاح ، يعيش فى ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها

والقرية هى القرية ، أهملت مرافقها ، وعاشت عيشة البؤس والحرمان

وإذا بكل تلك الوعود وعود عرقوب !!

هذا فى العهد البائد ، أما فى العهد الجديد فقد أفاق الفلاح على دعوة الحرية ، فإذا بالحال غير الحال ، وإذا بأرضه تعود إليه ، فيعود معها الخير واليمن . . وإذا بالملاك الذين كانوا يمتصون دمه يهوون من فوق عروشهم أذلة صاغرين !

لقد وجد الفلاح من ينصفه ، ويرد إليه حقه المسلوب .. فما أبعد الفرق بين وعود اليوم ووعود الأمس ، التى لم تـكن إلا كسراب بقيعة ، يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا !

عيسى متولى

تعقيب

فى « البريد الأدبى » للرسالة الغراء فى العـدد (١٠٠٥) كتب صديقنا الشاعر البغدادى الأستاذ عبد القادر رشيـد الناصرى كلة يخطئ فيها لفظة « جرجر » فى بيت الشاعر الأديب الفيتورى فى قوله :

(نجرجر) خلفنا التاريخ أشلاء وأكفانا

ويشير إلى أن اللفظة تومئ إلى غير المعنى الذى أراده الأستاذ الفيتورى وهو الجذب والسحب ؛ وإنما هى بمعنى الهدير يردده الفحل أو البعير .. الخ

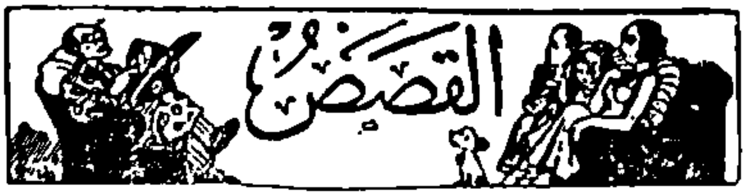
وأقول : من المعلوم فى نشوء اللغة وتطورهـا أن المفردات نشأت على هجاء واحد — أى على حرفين — محاكاة للطبيعة أوله متحرك وثانيه ساكن ثم جاء المضاعف الثلاثى والرباعى . وأنت تقول « صر » محاكاة لصوت صرار الليل . ولما كان الحرف الأخير على الوقف — أى ساكنا — لا يستبينه السامع بعد أو قرب ؛ قلت : صر بتحريك الساكن الثانى فى الأصل . ولما أردت أن تفهم السامع أن الصرار كان يكرر صوته ويرجعه ويردده مرة بعد مرة قلت : صرصر فأسكنت الراء الأولى على الأصل وضاعفت

وعليه فلفظة « جرجر » فى أصلها صحيحة على المعنى الذى أراده الشاعر وهو الجذب والسحب أو بمعنى أصح الجر المتكرر المتثاقل الطويل المدة

ويقول الأستاذ الناقد فى قول الفيتورى :

لقد عدنا . أجل عدنا . . ولـكن عودة (القصور)

« وقد فتشت القواميس فلم أجد معنى لـكلمة (القصور) ، فما معناها يا أستاذ ؟ »



كل لنفسه

للقصصى الكبير اسكندر دوماس « الأب »

كان بقرية فولى [1] منذ سنوات فلاح فقير يدعى « جيوم مونا »

وكان هناك دب يسطو على بستانه كل ليلة فيصطفى من شجر الكمثرى الذها طعما وأكثرها عصيرا رغم أن هذا الحيوان يستسيغ كل شئ ، فمن يشك إذن فى أن هذا الحيوان له من حاسة الذوق ما للانسان وإلا لما اختار هـذا الصنف من الكمثرى التى أغرم بها ذلك الفلاح الذى ظن بادئ الأمر أن ذلك من فعل الأطفال الذين يسطون على بستانه مما جعله يحشو غدارته بحبات كبيرة من ملح الطعام وينتظر هؤلاء الفتية

وعند الساعة الحادية عشرة تقريبا سمع زئيرا يدوى فى الجبل فقال لنفسه « آه . إن دبا غير بعيد »

وبعد عشر دقائق دوى عواء آخر قوى وقريب حتى ظن جيوم أنه لن يستطيع الرجوع أدراجه فانبسط على الأرض وليس لديه أمل إلا أن تكون الكمثرى هى مقصد الدب لا هو !

(١) فولى : قرية بفرنسا

وأقول : الأمر لا يحتاج إلى تفتيش فى معجم ، لأن (المقضور) أصله (المقهور) . وأنا أعجب كيف قرأتها على الحرف وقرأها الأستاذ الناصرى فى الرسالة نفسها على التحريف

والمقهور : المغلوب على أمره ، ولا شك أن الذى يجرجر التاريخ أشلاء وأكفانا ، لاشك أنه يعود عودة المقهور ، وإن كان العود هنا غير أحمد !

وبعد فإلى شاعر العراق الرقيق أبعث بالتحية الخالصة من مصر الناهضة ، وأرجو له دوام السداد والتوفيق

عرفان

وظهر الدب فجأة فى ركن الحديقة وتقدم نحو شجرة الكمثرى مارا على بعد عشر خطوات من جيوم ثم قفز على الشجرة فأنت من ثقله فروعها وأخذ يلتهم الثمار بشره حتى أنه لو زار هذه الشجرة مرتين أخريين لكانت الثالثة عبثا !

ولما بشم الدب هبط من الشجرة ببطء كأنه يأسف لفارقتها وعاد أدراجه مارا بصاحبنا (الصياد) الذى لم تكن غدارته المحشوة ملحا لتغنى عنه فتيلا

استغرق كل هذا حوالى الساعة ولكنها كانت طويلة جدا على الصياد كأنها عام فى حين أنها مرت على الدب كأنها لحظة

ومع هـذا فقد كان الرجل شجاعا إذ أنه همس والدب يعود أدراجه « حسن ، اذهب . ولكن هذالن يمر هكذا بل سترى »

وفى اليوم التالى مر أحد الجيران فوجد جيوم منهمكا فى قطع أسنان مذراة حديدية فقال له :

— ماذا تفعل ؟

— أتسلى

فأخذ الجار قطع الحديد وقلبها فى يده وأخذ يفكر برهة ثم أردف :

— لو كنت صريحا يا جيوم لاعترفت لى بأن هذه الشظايا إنما تعدها لاختراق جلد أقوى من المعز البرى

— ربما

فاستطرد فرنسوا (وهذا اسم ذلك الجار)

— أنت تعلم أننى نعم الفتى ، فلو شئت أن يكون الدب لنا سويا ، فإن اثنين خير من واحد

— المسألة تتوقف على الظروف

قال ذلك جيوم واستمر فى قطع القطعة الثالثة

— سأترك الجلد لك وحدك ولن نقتسم سوى الجائزة [2] واللحم

— إنى أفضل الكل

— ولكنك لن تستطيع أن تمنعنى من أن أقتفى أثر الدب فى الجبل ومن أن أكمن له فى الطريق

(٢) الجائزة : فى بعض البلاد تعطى الحكومة جائزة لمن يقتل حيوانا ضاريا

— أنت حر

وانتهى جيوم من عمله وعمد إلى إعداد مقدار مضاعف من البارود

فقال فرنسوا :

— كأنك ذاهب إلى ساحة القتال

فلم يجب جيوم بل قال :

— ثلاث قطع من الحديد فيها ضمان أقوى من قطعة من الرصاص

ولكن ذلك يشوه الجلد

— إنما فيها الموت الزؤام

— ومتى تذهب للعمل ؟

— غداً تعلم

— مرة أخرى ... ألا توافق ؟

— كلا

— أنذرك بأنى سأقتفى أثره

— هذا لا يضيرنى

— لنا سويا ؟ ... قل !

— كل لنفسه ،

— إلى اللقاء يا جيوم ،

— أتمنى لك أسعد الظروف

فانصرف الجار وهو يرى جيوم يحشو غدارته بالبارود وقطع الحديد

وفى المساء وهو مار بالمنزل رأى جيوم جالساً على أحد المقاعد بالقرب من الباب وهو يدخن غليونه بهدوء . فذهب إليه ثانية وقال :

— لست آسفاً ولا مكتئباً . لقد وجدت آثار ذلك الحيوان فلم أعد فى حاجة إليك مطلقاً . ومع ذلك فقد جئت أعرض عليك أن يكون لنا سوياً

فقال جيوم بلهجة المصمم :

— كل لنفسه

لم يستطع فرانسوا أن يعلم ماذا فعل جيوم بعد ذلك فى تلك الليلة . ولكن امرأة هذا رأته فى الساعة العاشرة والنصف يحمل غدارته وقد طوى تحت إبطه كيساً رمادياً ، ولكنها لم تجرؤ أن تسأله إلى أين يذهب لأنه كان من الرجال الذين لا يفضون إلى نسائهم بشئ

وأما فرنسوا من جهته فقد عثر حقيقة على الأثر الذى انتهى به إلى حديقة جيوم ، ولما لم يكن له حق فى أن يكمن على إحدى أشجار الحديقة فقد أخذ مكانه فى غابة تقع بين منتصف سفح الجبل وحديقة جيوم

ولما كانت الليلة قمراء فقد رأى فرانسوا جيوم وهو يخرج من بابه الخلفى ، ثم تقدم حتى إحدى الصخور الرمادية التى تدحرجت من الجبل ، وكانت تبعد عن شجرة الكمثرى عشرين خطوة ، ثم وقف وأدار طرفه ليرى ما إذا كان هناك من يراه ثم تناول الكيس ووقف بداخله بحيث لم يدع من جسمه خارجه إلا رأسه وذراعيه . وارتكز على الصخرة فأصبح من غير المستطاع تمييزه عنه نظراً لاتحاد لون الصخر والكيس وثبات جيوم فى موضعه

مر من الساعة ربعها فى انتظار الدب ، وأخيراً أعلن مجيئه زئير متتابع وبعد خمس دقائق رآه فرانسوا

لم يأخذ ذلك الحيوان طريقه العادى الذى سلكه بالأمس إما لدهائه وإما لأنه أحس بالصياد الآخر . وبدلا من أن يأتى عن شمال جيوم ارتسم لنفسه طريقاً منحنياً وأتى عن يمينه بحيث لا يمكن أن يصل إليه سلاح فرانسوا ، ولكن على بعد خطوات من غدارة جيوم الذى ظل ساكناً حتى ليظن أنه لم ير ذلك الحيوان وهو يمر قريباً منه كأنه يتحداه . ويظهر أن الدب لم يشعر بعدوه إذ أن الريح كانت متجهة منه إليه ولذا استمر فى طريقه نحو الشجرة

ولم يكد يرتكز على رجليه الخلفيتين وقد حوط بهما الأماميتين ودفع بصدره إلى الأمام استعداداً للقفز حتى دوى فى الوادى صوت هائل وسرى فى الفضاء بارق من نار أعقبه أنين جرح مميت

انقلب الدب راجعاً ماراً على بعد خطوات من جيوم دون أن يراه فقد أدخل ذراعيه ورأسه داخل الكيس فاستتر فى الصخر من جديد

كان هذا المنظر على مرأى من الجار الذى ركع على ركبتيه ويده اليسرى ، قابضا باليمنى على غدارته وقد اصفر لونه وهو يكتم أنفاسه وتمنى فى ذلك الوقت لو كان نائما فى سريره بعيدا عن هذا الموقف

كانت مفاجأة سيئة لفرانسوا حين رأى الدب الجريح بعد أن دار دورة طويلة قد أخذ سبيله عن يمينه حتى أسلم نفسه لبارئه ، وتحقق من غدارته ليتأكد أنها محشوة . كان الدب على بعد خمسين خطوة يئن من الألم ويقف ليدور برأسه فيمض على موضع الجرح ثم يتابع السير حتى صار على بعد ثلاثين خطوة

ولكنه وقف فجأة وتنسم الريح التى تأتى من جهة القرية وزأر زئيرا مرعبا ثم قفز داخل البستان

— خذ حذرك يا جيوم ! احترس !

تفوه بها فرانسوا وهو يتبع الدب وقد نسى كل شئ إلا صديقه لأنه اعتقد تماما أنه لن ينجو من الدب إذا لم يكن قد استطاع أن يحشو غدارته من جديد؛ ولكنه لم يكد يخطو خطوة واحدة حتى سمع صرخة ولكنها كانت صرخة آدمية ، صرخة رعب ، بل صرخة النزع الأخير . ثم تلتها صرخة استجمع فيها صاحبها كل ما بقى فيه من قوة ومن رجاء فى الله :

« أدركونى ! » لم يعقب ذلك أى صوت ولا تأوه

لم ينكص فرانسوا على عقبيه ؛ بل تقدم حتى اقترب من مصدر الصوت ، فتبين له بوضوح ذلك الحيوان الهائل منكبا على جيوم يمزقه بمخالبه

كان فرانسوا على بعد أربع خطوات منهما ولكن الدب كان ثائرا على عدوه لدرجة أنه لم يكترث لغيره . لم يجرؤ فرانسوا أن يطلق غدارته خوف أن تقتل جيوم إن كان لم يزل حيا . فالتقط حجرا وقذف به الدب

فالتفت الدب نحو عدوه الجديد . لقد كانا متقاربين جدا ، حتى أن الدب انحنى إلى الوراء استعدادا للمهاجمة ؛ ولكن بحركة آلية ضغط فرانسوا على الزناد فخرج الطلق النارى وانقلب الدب على ظهره لأن الرصاصة قد اخترقت صدره وكسرت عموده الفقرى

تركه فرانسوا يتخبط فى دمائه وأسرع إلى جيوم ، فلم يجده بشرا ولاجثة ؛ بل وجده عظاما ولحما ممزقا قد التهم الدب رأسه بأكمله تقريبا

رأى فرانسوا الأنوار تتحرك وراء النوافذ فعلم أن كثيرا من فلاحى القرية قد استيقظوا فأخذ ينادى ويستغيث ويحدد المكان الذى هو فيه

فخف إليه بعض الفلاحين بأسلحتهم وما لبثت القرية أن تجمعت بتمامها فى حديقة جيوم ، وكانت امرأته من بين الحاضرين

وقد كان المنظر رهيبا مرعبا إذ أخذ كل الحاضرين يبكون كالأطفال

اكتتب أهالى المنطقة بأكملها لأرملة جيوم بمبلغ سبعمائة فرنك ، وتنازل لها فرانسوا عن الجائزة وباع لحسابها جلد الدب ولحمه

وأخيرا اقتنع الجميع بوجوب التعاون والتآزر !

ع . م

مطبعة الرسالة